المجتمع

العدد (2170) - السنة (53) المحرم 1444هـ / 1 أغسطس 2022م

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

التوظيف السياسي للدراما

MUGTAMA

الكويت 750 فلساً - السعودية 10 ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر 10 ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن 1.750 دينار أردني - لبنان 4500 ليرة - المغرب 23 درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

@mugtama

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

mugtama magazine

موقع

المجتمع

جمعية التكافل
لرعاية السجناء

حملة الأقربون أولى بالمعروف

ابشروا بالفرج

لندخل الفرحة على 1000 حالة من الغارمين

رقم الموافقة (ع ع \ ت ج ن 2 \ 2022)

تبرع الآن عبر الخدمات التاليه 94064060 - 94064061 altkaful.com

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2170) - (السنة 53)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:

سالم حمد القحطاني

مدير التحرير:

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني:

مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة - الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560523 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

موضوع الغلاف

التوظيف السياسي للدراما

• بعد تعيين الشيخ أحمد النواف رئيساً للحكومة..
نواب: أمامه فرصة تاريخية لخدمة الكويت وتحقيق الإنجازات الكبيرة 6
• المكاسب الصهيونية من زيارة بايدن 22
• قمة طهران الثلاثية.. هل انتهى مسار أستانا 25
• هل يتراجع الوجود الفرنسي في أفريقيا؟ 32
• ظفر الإسلام خان: بلدوزر الكراهية يجرف تاريخ مسلمي الهند ويمهد لإبادتهم 39

مقالات

٢ أغسطس.. اليوم الذي لا يُنسى — سعد النشوان — 6
إصلاح! — د. يوسف السند — 21
اتفاق الرسل في الأصول واختلافهم في الفروع — د. علي الصلابي — 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

آية العدد

﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

(التوبة)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

الهجرة النبوية.. وأسباب النجاح

عند اعتزامه الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كل الأسباب التي تضمن نجاح هجرته إليها، والتي ترتب عليها قيام دولة الإسلام، واتساع رقعتها، وسطوع حضارتها، ومن أهم الأسباب نجاحه الباهر في تهيئة المكان الذي سينزل به هو وأصحابه، مستخدماً كل الوسائل المكنة من توثيق عرى العلاقات مع أهل يثرب بعقد معاهدتين، وإرسال داعية عظيم الكفاءة، قوي الإيمان، شديد الإخلاص؛ لنشر الدين، وجذب الأتباع هناك.. والسبب الثاني من أسباب النجاح هو اختيار الوقت المناسب للهجرة، فلم يعزم النبي صلى الله عليه وسلم على الهجرة إلا بعد أن استوثق من رسوخ إيمان أهل يثرب، وتعهدهم بحمايته والدفاع عنه، وذلك في بيعة العقبة الثانية، ومن ثم لم تعد هناك حاجة لبقائه في مكة بعد أن وجد النصرة والمنعة عند أهل يثرب.

والسبب الثالث هو آليات الهجرة التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم في خروجه من مكة إلى المدينة، في واحدة من أجلّ ما عرف تاريخ المغامرة في سبيل الحق والعقيدة والإيمان قوة وروعة، وتفاصيل هذه الهجرة مذكورة في كتب السيرة، ولسنا في حاجة إلى سردها الآن، ولكن يمكن القول بأنها كانت سرية إلى أقصى حد، ودقيقة إلى أبعد مدى، وضع لها النبي صلى الله عليه وسلم كل ما في وسعه من وسائل تضمن لها النجاح، وخطط تحقق لها التوفيق، فإذا لم يفلح ذلك كله، فستأتي عناية الله تعالى في اللحظة المناسبة.

ومن دروس وعبر الهجرة النبوية نستخلص:

ضرورة الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله سبحانه.

وجوب الإخلاص والسلامة من المنافع الشخصية.

الاعتدال حال السراء والضراء.

اليقين بأن العاقبة للمتقين.

ثبات أهل الإيمان في المواقف الحرجة.

أن من حفظ الله حفظه الله.

أن النصر مع الصبر.

الحاجة إلى الحلم، ومقابلة الإساءة بالإحسان.

استبانة أثر الإيمان.

انتشار الإسلام وقوته.

أن من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه.■

بعد تعيين الشيخ أحمد النواف رئيساً للحكومة..

نواب: أمامه فرصة تاريخية لخدمة الكويت وتحقيق الإنجازات الكبيرة

بالتفاؤل والترحيب استقبلت الكويت الأمر الأميري بتعيين الفريق أول م. الشيخ أحمد النواف رئيساً لمجلس الوزراء.

ولد الشيخ أحمد النواف في الكويت عام ١٩٥٦م في عهد المغفور له سمو الأمير الراحل الشيخ عبدالله السالم، طيب الله ثراه، تلك الحقبة المهمة من تاريخ الكويت، حيث تزامن مولده مع صدور دستور الكويت ونيل البلاد استقلالها التام، وترعرع مع الديمقراطية الكويتية الوليدة وبرلمانها المنتخب.

وإذا أضفنا إلى تلك النشأة، أن الشيخ أحمد النواف هو ابن صاحب السمو الأمير الشيخ نواف الأحمد، لاستطعنا على الفور كشف أسرار نجاح مسيرته كرجل دولة من الطراز الأول، تمكن من وضع بصمات مميزة في جميع المناصب التي تولاها وصولاً إلى رئاسة الوزراء.

هذا، وقد قوبل تعيين الشيخ أحمد النواف رئيساً لمجلس الوزراء بترحيب نيابي قائم على التفاؤل بمرحلة جديدة ستعيشها البلاد نحو المزيد من التطور والإصلاح.

وبارك النواب للشيخ أحمد النواف الثقة الأميرية السامية بتعيينه رئيساً للوزراء، داعين الله أن يسدد خطاه ويعينه على أعباء هذه الأمانة ويمده بالعون لخدمة الكويت وأهلها، وأن يعينه على أمانة إدارة البلاد لما فيه خير الوطن والمواطن وتحقيق طموحات الشعب.

الشاهين: النواف اتخذ خطوات إصلاحية في «الداخلية» ونتطلع لمثيلاتها بـ«الحكومة»

المطر: المرحلة المقبلة تتطلب النهوض بالبلد على جميع الأصعدة

الصقعبي: نتعلم من دروس الماضي ونصطف حول النهج لا الأشخاص

وأشاد النواب بعمل النواف في الفترة السابقة، معتبرين أن أمامه فرصة تاريخية لخدمة الكويت وتحقيق الإنجازات الكبيرة كونه مدعوماً بثقة القيادة السياسية للحفاظ على مكتسبات الشعب وتوفير الرخاء والعيش الرغيد للمواطنين، وحماية دستور الآباء وبناء مستقبل للأبناء، مطالبين بنهج جديد يسوده الإصلاح ومحاربة الفساد.

وهنأ النائب أسامة الشاهين قائلاً: وفق الله رئيس الوزراء المكلف الشيخ أحمد النواف للخير والصالح العام، وهنيئاً له ثقة سمو أمير البلاد وسمو ولي العهد، ومحبة الشعب العزيز.

وأضاف الشاهين: اتخذ الشيخ أحمد النواف خطوات إصلاحية فورية وحازمة في وزارة الداخلية، ونتطلع لمثيلاتها على مستوى الحكومة.

وأكد النائب حمد المطر أن المرحلة المقبلة تتطلب النهوض بالبلد على جميع الأصعدة من خلال نهج جديد قوامه حسن الاختيار ووضوح الرؤية والقدرة على تخطي التحديات، مضيفاً: لن نكون إلا عوناً لمن يعمل لصالح الكويت.

وقال النائب د. عبدالعزيز الصقعبي: نتعلم من دروس الماضي، ونصطف حول النهج لا الأشخاص، ونقول لرئيس الوزراء الجديد: اجعل من تفاؤل الناس وقوداً للإصلاح والتنمية، ولا تخذلهم، فالعلاقة بين السلطة والشعب تقوم على أساس العمل بالدستور

السيرة الذاتية للشيخ أحمد النواف

- ولد في الكويت عام 1956م وهو نجل سمو الأمير الشيخ نواف الأحمد.
- حاصل على بكالوريوس في التجارة من جامعة الكويت.
- تدرج في السلك العسكري حتى وصل إلى رتبة فريق أول.
- شغل منصب وكيل وزارة مساعد لشؤون الجنسية والجوازات بوزارة الداخلية، ثم منصب وكيل وزارة مساعد لشؤون التعليم والتدريب بوزارة الداخلية.
- عُين بعد تقاعده من وزارة الداخلية محافظاً لمحافظة حولي وتقلد العديد من المناصب القيادية.
- تولى منصب نائب رئيس الحرس الوطني بدرجة وزير في نوفمبر 2020م.
- في مارس 2022م عُين نائباً أول لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للداخلية.■

واحترام إرادة الأمة.

من جانبه، أشار النائب ثامر السويط إلى أن حالة التفاؤل التي صاحبت تكليف الشيخ أحمد النواف لرئاسة الوزراء مرتبطة بطي مرحلة الفساد والعبث وتجيير مقدرات البلد لصالح قوى الفساد.

وقال النائب د. عبدالكريم الكندري: الاستحقاقات كثيرة وكبيرة، حيث يتطلع الشعب اليوم لتطهير مؤسسات الدولة من الفساد الذي غرس بها وتسبب في تأخرها وتراجعها بكل المجالات، واحترام إرادته والذود عن حرياته ومصالحه وأمواله.

فيما أكد النائب السابق د. جمعان الحربش، أن مدخل الإصلاح هو رفع المظالم ورد الحقوق وأهمها رد الجناسي المسحوبة لأسباب سياسية وعودة المهجرين وخروج سجناء الرأي والشيخ شافي العجمي ومن معه.

وقال النائب السابق الحميدي السبيعي: نهنئ سمو الشيخ أحمد النواف ثقة صاحب السمو الأمير وولي العهد التي جاءت تماشياً مع الرغبات الشعبية، ونحسبه على قدر تلك التطلعات والرغبات إن شاء الله تعالى، فيبدأ بحسن اختيار فريقه ومكافحة الفساد ودعم الحريات، ونسأل الله أن ينفع به البلاد والعباد.

ودعا النائب السابق عبدالله فهاد العنزي الشيخ أحمد النواف إلى وضع خارطة طريق للمرحلة القادمة تبدأ من احترام الدستور والتصدي للفساد وملاحقة الفاسدين وتحقيق آمال الشارع.

وبين المحامي معاذ الدويلة أن المعيار الأساسي هو التزام النهج الإصلاحي، مشيراً إلى أن تجارب الماضي أثبتت أن الشعب يلتف حول من يخاف الله في حرياته ومصالحه ومقدراته.■

روايات
REWAYAT

الشايع
SINCE 1928 منذ
الشايع للعطور
AL SHAYA PERFUMES
www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

كتب- عادل العصفور:

نجيب خالد العامر.. صاحب الهمة العالية

نجيب خالد محبوب العامر، كان من المتميزين، وذا همة عالية، محباً للقراءة والاطلاع، ومقتدياً بالرسول صلى الله عليه وسلم في كل أمر؛ ما جعل غالب حديثه ودروسه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت رسالته في الدكتوراة قبل وفاته أيضاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

النشأة:

ولد في 7 جمادى الأولى 1374هـ/ 1 يناير 1955م، في منطقة النقرة، وتربى بين يدي أبوين صالحين غرسا فيه الكثير من صفات الصلاح وحب الخير.

الدراسة:

تخرج في الثانوية العامة بالقسم العلمي، ثم التحق بمعهد المعلمين قسم الرياضيات، ثم التحق بقسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية الأساسية، ثم حصل على الماجستير في التربية من جامعة الكويت، ثم بدأ برسالة الدكتوراة وأتمها قبل وفاته، ولكنه لم يناقشها، وكانت رسالته «الرسول المربي صلى الله عليه وسلم».

العمل والمناصب:

عمل مدرساً للرياضيات في عدة مدارس، ثم تحول إلى مدرس تربية إسلامية بالمعهد الديني بعد تخرجه في كلية التربية، ثم تقاعد ليتفرغ للتأليف والعمل الدعوي، وخاصة إلقاء المحاضرات والدورات التربوية.

صلته لأرحامه:

كان حريصاً أشد الحرص على صلة الأرحام، وكان يقوم بهذا الواجب حتى وإن كان مريضاً، فلا يمر يوم إلا ويعود والديه، ومن عادته أنه لا يلتقي بوالدته يومياً إلا ويهديها بهدية يدخل بها الفرحة والسعادة على قلبها، سواء كانت فاكهة تحبذها، أو طعاماً ترغبه، أو شيئاً كانت تريده، وكان دائماً يقول لوالدته: هل أنت راضية عني؟

التماس العذر لكل من يسيء إليه وحسن الظن من أبرز صفاته

اختار رسالته للدكتوراة عن الرسول ﷺ

أبرز الصفات:

كان من أبرز صفاته التماس العذر لكل من يسيء إليه، يحسن الظن، ما كان يحب أن يأوي إلى فراشه وفي قلبه حقد على أحد.

إنتاجه العلمي:

قام بتأليف نحو 15 كتاباً، منها: «من أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية»، «الرسول قدوة الأمة الوسطية»، «نادي الناشئ المسلم»، «نادي المسلم الصغير»، «ومضات للفتيات»، «هل أعتبر؟»، «26 قصة واقعية».

وفاته:

وفي يوم وفاته، تعب وطلب من ابنه عبدالرحمن أن يستريح قليلاً ثم يذهب به إلى الطبيب، فجلس على الأريكة متجهاً إلى القبلة وهو يردد الشهادتين، ثم رجع رأسه للخلف وفاضت روحه، كان ذلك في 25 شعبان 1432هـ/ 26 يوليو 2011م.■

2 أغسطس.. اليوم الذي لا يُنسى

سعد النشوان
رئيس قسم الشؤون المحلية

قبل 32 عاماً، أقدم النظام العراقي البائد على جريمة لم تكن حتى في بال أكثر المجرمين دهاء، فلا يمكن أن يفكر شخص سوى بغدر مَنْ قام بمساعدته طوال السنين التي احتاجه فيها، وقام بغزو لا يمكن وصفه إلا بالإجرامي والبربري، نعم صحيح أن الغزو العراقي الغاشم مرت عليه سنون كثيرة، ولكن لا يمكن أن ننسى غدر الأخ والجار، كما قال الشاعر طرفة بن العبد:

وظُلمُ ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهنّدِ

إن الغزو العراقي البربري على الكويت لا يعرف المعنى الحقيقي له إلا الكويتي الذي عايش أيامه لحظة بلحظة، سواء كان داخل البلاد أو خارجها، سمعنا عن جرائم «هتلر» والنازيين، وعن فظائع اليهود في أرضنا المحتلة فلسطين، ولكن كنا نتعاطف من باب الإنسانية والشعور بالظلم الواقع على هؤلاء المظلومين، ولكن عندما عشنا الأيام المريرة في الغزو أدركنا معنى الاعتقال والقتل على الهوية وتدمير كل شيء، حقيقة إنه شعور رهيب ولا يكاد يحتمل، ولكن حب الكويت أعلى وأغلى من أي شعور.

فالغزو العراقي علمنا مساندة الأشقاء والأصدقاء، ولكن لا نساند الأنظمة دون أن تذوق هذه الشعوب حلاوة هذه المساعدات، فنعم الخطوة التي اتخذتها الجهات المانحة في الكويت بأن توجه المساعدات والقروض للمشاريع التي تفيد الشعوب، وكذلك علمنا الغزو المجرم أن الضامن الأول لبقائنا هو تلاحم الشعب والقيادة، وما مؤتمر جدة، في أكتوبر 1990م، والقرارات التي خرج بها إلا تتويج لهذا التوجه، وليعلم العالم بأننا لسنا شعباً منفصلاً عن قيادته، ولكننا (الشعب والقيادة) منصهرون في بوتقة واحدة تصب في مصلحة الكويت العليا، وهذا ما حرص عليه سمو الأمير، وولي عهده، حفظهما الله ورعاهما، فعندما تعقدت الأمور قبل أشهر، واستحال تعاون المجلس والحكومة؛ عادت القيادة للاحتكام للدستور وللشعب ليقول كلمته من غير أي تدخل بالانتخابات، وهذا تأكيد المؤكد.

وأيضاً تعلمنا من الغزو أن عمقنا الإستراتيجي والحقيقي هو مدى قوة علاقتنا مع دول مجلس التعاون الخليجي، فهم السند الحقيقي الذي يشعر بما نشعر، لا أنسى الوقفة التاريخية للمملكة العربية السعودية، وعندما خرج الكويتيون من أرضهم لم يكن مكانهم الأراضي السعودية فقط، وإنما في قلوب الأشقاء، ووجدنا القيادة والشعب السعودي وكل القيادات الخليجية وشعوبها.

نعم، تعلمنا من الغزو أننا دولة مهمة في العالم لموقعنا الإستراتيجي وكذلك للثروة النفطية، ولكن ليس من الحصافة السياسية أن نعتمد على قطب سياسي واحد فقط، ولكن يجب أن تكون لدينا العديد من الاتفاقيات الأمنية مع كل الأقطاب في العالم.

لقد منَّ الله علينا بالتحرير، وقبل كل التدخلات المادية كان هناك سبب خفي في تعجيل التحرير؛ ألا وهو تدفق العمل الخيري، حتى أثناء الغزو لم يتوقف، ولكن لم يكن في وهج العمل قبل الغزو.

لقد علمنا الغزو المجرم أن بالشكر تدوم النعم؛ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: 7)، فيجب علينا الشكر لكي تستمر النعم، وأن القرب من الله تعالى هو السبب الرئيس للتحرير، وكل ما عداه هي أسباب ساقها الله تعالى.■

التوظيف السياسي للدراما..

بين الأداء الناعم والصياغة الخشنة!

أ. د. حلمي محمد القاعود

أستاذ الأدب والنقد

أدرك الساسة الغربيون الاستعماريون منذ نشوء فن الصورة المتحركة أهمية الدور السياسي للسينما، ثم الدراما القصيرة والمسلسلة، وقد أعطت الصورة التي أنتجتها هوليوود نموذجاً لشخصية «السوبر مان» المتحضر الذي لا يُهزم أبداً، سواء كان من رعاة البقر، أم القادة العسكريين، أم الشخصيات الأخرى في ميادين العلم والصناعة والزراعة والعلاقات الإنسانية، كما قدمت السينما الأمريكية الخطط المستقبلية للغرب الاستعماري في صورة خيال قد يحدث في المستقبل، وهيأت العالم لقبوله (تدمير برجي التجارة في نيويورك مثلاً).. وفي الوقت نفسه، صورت الآخر الأفريقي أو الآسيوي أو اللاتيني أو المسلم في صورة غير حقيقية، مجوفة من الداخل، تملأ تجاويفها مفردات العجز والهزيمة والتخلف والضعف والغباء والجهل والقصور والوحشية.

تسريب الصورة الذهنية عبر وجدان المشاهدين خدم السياسة الأمريكية أو الغربية الاستعمارية عموماً

تسريب الصورة الذهنية عبر وجدان المشاهدين خدم السياسة الأمريكية أو الغربية الاستعمارية عموماً، ومن ضمنها صورة اليهودي المظلوم المضطهد الذي ينتصر دائماً على خصومه بذكائه وتفوقه وفطنته وقدرته على تجاوز الاضطهاد والظلم والعنصرية والتنمر والعدوان! هذه الصورة تحض على أن النجاة مرهونة باللحاق بالنموذج الغربي سياسياً وفكرياً وثقافياً، بل وعقدياً، وضرورة تقليده في الملبس والمأكل، والمشرب والسلوك، مهما كان مخالفاً للمعتقدات والثوابت الفكرية والثقافية.

وجاء اختراع التلفزيون ومن بعده الشبكة الضوئية ووسائل التواصل الاجتماعي بتطبيقاتها المتنوعة، وانتقالها إلى الهواتف التي

تسمى بالذكية لتمثل مرحلة متقدمة في تسريب الرؤى السياسية للقوى القاهرة والخائنة عبر الدراما، فضلاً عن الأفلام وأحياناً المسرحيات المصورة.

أدركت أخيراً الحكومات -خاصة الاستبدادية- أن تغيير سمعتها أو صورتها السياسية والاجتماعية، أو بقاءها الوجودي والإنساني يقتضي توظيف الدراما لإعطاء سمعة جديدة لها، ووضعها في إطار جديد مخالف يبرز ملامح تطورها ومنجزاتها، مع تجميل ممارساتها السلبية، وتضخيم قيمة بعض مشروعاتها المفيدة.

بالإضافة إلى ما سبق، فإن تحسين صورة العدوّ اليهودي الغاصب وأنسنته، وتقديمه مالكاً لقلب يفيض بالرحمة والمودة والتعاطف، بينما يقتل ويبيد ويطرد أصحاب الأرض من بيوتهم ويستولي على ممتلكاتهم وثرواتهم، يمثل ذروة الجريمة الفنية، إن صح التعبير، وفي مسلسلي «حارة اليهود»، و«أم هارون» -اللذين قام عليهما عرب مسلمون إنتاجاً وتنفيذاً وأداء- ما يقدم نموذجاً لمن يمهدون للتطبيع الشعبي، وقبول الأمر الواقع، والرضا بضياع المقدسات والأرض، والخضوع للإرادة اليهودية الإجرامية الغاصبة، القوم يقدمون اليهودي في صورة المضطهَد المظلوم بسبب ذكائه وتفوقه وإنسانيته، وعلينا أن نكافئهم على جرائمهم لأنهم أذكياء فائقون إنسانيون، وأظنهم لو قدموا «حارة اليهود» عن رواية تحمل الاسم نفسه للروائي الراحل نجيب الكيلاني لاختلف الأمر؛ فروايته تعرض الطبيعة اليهودية النكدة على حقيقتها دون تزييف أو تضليل.

لقد ساعدت ثقافة الزحام، والخواء الفكري، وضعف التعليم أو انهياره في بعض الدول، والفراغ الذي تنتجه البطالة، لتكون الدراما سلوى الجمهور، يتسلى بما يشاهد، ويستمتع بالأحداث الشائقة، ويتقبل ما يرى دون مراجعة أو تمحيص؛ فالفن الناعم يتسلل إليه وهو مسترخ في السرير أو على مقعد وثير، أو متكئ على أريكة مريحة، ولا سيما إذا جاء المسلسل في حبكة فنية محكمة جاذبة للمتابعة والاستنتاج.

نشاط اقتصادي مهم

ولا ريب أن الحكومات الذكية أدركت أن النموذج الأمريكي أو الغربي -خاصة الفرنسي أو الإنجليزي- يجب تقليده، لتقدم نفسها في صورة مختلفة، وتغير الصورة النمطية الشائعة عنها، وتعطي نموذجاً آخر لحكومات تؤمن بالحرية والعدل والشورى والثقافة والفكر وبعث الحضارة الموروثة والترحيب بالمدنية المستجدة.

لقد باتت الدراما نشاطاً اقتصادياً مهماً، إلى جانب كونها بريداً يحمل رسائل سياسية أكثر أهمية، ومنها شطب الممارسات الاستعمارية الهمجية، وإثارة التعاطف مع الغزاة القتلة ببعض السلوكيات الزائفة، والكشف عن إنسانيتهم من خلال بعض المواقف التي تغطي على ما اقترفته حكوماتهم وجيوشهم في عمليات السلب والنهب للشعوب المستضعفة، لا ننكر أن هناك بعض المسلسلات التي جسدت، أو أبرزت مآسي المستعمرين الغزاة مع بعض الشعوب مثل مسلسل «جذور» الشهير، الذي أبرز مأساة الأفارقة، ونقلهم إلى الولايات المتحدة بوصفهم عبيداً، وماتت أعداد كبيرة منهم لسوء المعاملة في أثناء النقل.

وفي المقابل، نجد وضعاً معاكساً لتصوير الظالمين الأقوياء؛ حيث قدمتهم الدراما في صورة مثالية ومجتمعهم أكثر ثراء وتقدماً، ولا يبالي إلا بالقوة والمزيد من الربح والثراء والمتع الحسية، ثم يدهس في طريقة أصحاب الحقوق، فضلاً عن القيم الإنسانية في إطار مبالغات وخيال عريض، ولكن الأداء الفني الاحترافي الناعم يجعل المشاهد يستسلم لها في حلقات ممتدة («فالكون كريست» مثلاً!).

لقد لجأت دول مختلفة إلى تغيير صورتها السياسية النمطية التي ترسخت في الأذهان، مثل اليابان والصين والهند والمكسيك والبرازيل وإيران وتركيا، حيث ترسبت صورة نمطية ترى هذه الدول مشغولة بالواقع العملي والمادي الجامد، أو مجرد كيانات تابعة لا وجود حضارياً لها، وتعيش بعيداً عن العلاقات الإنسانية

والعواطف البشرية التي تؤسس للسلام والمودة والتعاون بين الشعوب والأفراد، فأنتجت هذه الدول دراما تغير الصورة الذهنية الراسخة، وتبرز اهتمامها بصورة جديدة تصوّب الصورة النمطية، من خلال التفاعل مع العلاقات الإنسانية سواء عبر الواقع أو التاريخ!

في عقود مضت، كانت مصر ولبنان وسورية وفلسطين والأردن تنتج -على تفاوت- مسلسلات تخدم الفكرة السياسية بالولاء للحاكم، أو تعرض قضية سياسية عامة تتمثل في الكفاح ضد الاستعمار أو الحكومات الفاسدة، أو تعرض المعاناة والكفاح ضد اغتصاب فلسطين وتشريد أهلها، أو قضايا أخرى ترتبط بالسياسة والهوية المحلية، وكان ذلك يتم من خلال فن ناعم يسعى للإقناع والتشويق، مع أن بعضها كان يهدف لترسيخ الفكرة غير المباشرة وهي الولاء لنظام الحكم -ولو كان مستبداً- والإيمان بضرورة استمراره وبقائه وعدم التمرّد عليه ولو اقتضى ذلك حرمان الشعوب من الحرية والشورى والعدل والانتصار

بينما فشل «ممالك النار» المصري ولم يلق رواجاً اقتصادياً نجح «عثمان» التركي واشترته 142 قناة

على الأعداء (تأمل مثلاً مسلسل «ليالي الحلمية» المصري بأجزائه المتعددة، ويقابله مسلسل «باب الحارة» السوري)، وكانت هناك محاولات جيدة مختلفة لعرض القضية الفلسطينية ومظلومية شعبها (مسلسل «التغريبة الفلسطينية» ومسلسلات أخرى مهمة).

«عثمان» و«ممالك النار»

عرض التلفزيون المصري في العقود الماضية دراما على مستوى عال من الفن والحرفية (كثير منها باللغة الفصحى السهلة، أو العامية القريبة من الفصحى)، خاصة في المجال التاريخي، فشكّل ذلك قوة ناعمة حقيقية هيأت لمصر مكانة

سياسية مرموقة على امتداد العالم الإسلامي لدى الأجيال الجديدة، ولكن تغير الأحوال، وهبوط ثقافة المنتجين إلى مستوى التاجر الذي لا يهمه إلا الربح، فضلاً عن تدخل فظ وفج من بعض الجهات المحلية والخارجية في إنتاج بعض الأعمال الدرامية والسينمائية، أدى إلى هبوط تأثير الدراما المصرية، بسبب التوظيف السياسي الفظ والفج لمكايدة دول أخرى تختلف مع النظام، أو رغبة في تغيير هوية المجتمع الإسلامية وطبيعته الإنسانية وسحق قيمه الخلقية المستقرة.

خذ مثلاً مسلسل «ممالك النار» الذي أنتج في سياق الحملات الهجائية للأتراك وسياستهم، ومحاولة المنافسة مع المسلسل التركي «المؤسس عثمان»، فشل «ممالك النار» لأنه تبنى الفكر الشعوبي العنصري، وخالف الحقائق التاريخية، وفي مقدمتها أن الصراع كان بين أتراك وأتراك، والمصريون ليسوا طرفاً فيه؛ فالمماليك أتراك مثل العثمانيين، وكانوا في مصر يتكلمون فيما بينهم اللغة التركية، وتشير بعض روايات التاريخ إلى أن علماء الدين المصريين قابلوا السلطان «سليم الأول» في الشام وطلبوا منه أن ينقذهم من ظلم المماليك الذين يقودهم طومان باي، ولذا لم يحتشد المصريون في الصراع بين العثمانيين والمماليك، كما احتشدوا مثلاً ضد الحملة الفرنسية.

لقد نجح مسلسل «عثمان» التركي وفشل مسلسل «ممالك النار»، ولم يلق رواجاً في الجانب الاقتصادي، بينما «عثمان» تشتريه 142 قناة تلفزيونية في العالم وتترجمه إلى لغاتها أو تدبلجه، ويحظى بنسبة مشاهدة عالية، وتدخل عائداته ضمن 350 مليون دولار تحصدها المسلسلات التركية كل عام بعد أن وصلت تركيا -حسب وكالة «الأناضول»- إلى المرتبة الثانية في تصدير الدراما على

مستوى العالم بعد الولايات المتحدة!

ولعل حرص الرئيس السادات على الدراما الناعمة جعله ينشئ ما يسمى «عيد الفن» كل عام، يحضره بنفسه، ويكرم فيه كبار الفنانين الذين شاركوا في أعمال مهمة، جعلت لبلاده تأثيراً سياسياً ملحوظاً في المحيط الإسلامي، وخاصة من خلال المسلسلات الإسلامية («محمد رسول الله» صلى الله عليه وسلم)، وقصص الأنبياء والصحابة والقادة، وغيرهم.

دراما خشنة

تراجعت الدراما العربية الناعمة إلى دراما خشنة وفظة وفجة ومنحلة ومباشرة لتبييض وجه النظم والحكومات عموماً، وبعض الأجهزة المؤذية خصوصاً، وتمييع قضية فلسطين والمقدسات، فضلاً عن تشويه الإسلام وقيمه من خلال معالجة قضايا التطرف والإرهاب، ولقد كان تشجيع المسلسلات التي تعالج التطرف والإرهاب فرصة ذهبية لأنصار التهويد والتغريب والاستبداد كي يضربوا الثوابت الإسلامية، ويسعوا لنشر القيم الغربية في صورتها المبتذلة المنحطة، وليس الصورة الإيجابية المنتجة، ويروجوا لمظلومية المرأة المدّعاة، ويشجعوا التمرد على مؤسسة الزواج، ويشهِّروا بالتشريعات الإسلامية في مجال الأسرة، وينتقدوا توزيع الميراث كما شرعه الوحي، ويلحوا على تقديم سلوكيات المدمنين والمنحرفين بتفصيلاتها الدقيقة كي يقلدها الشباب.

وكان هذا للأسف توظيفاً سياسياً غشيماً لاستئصال الإسلام من وجدان الناس، بيد أن الناس في البلاد العربية انصرفوا عن الإنتاج الدرامي العربي، وراحوا يتابعون المسلسلات الأجنبية، وخاصة التركية والمكسيكية والهندية مترجمة أو مدبلجة، وما بالك بحرص الجمهور العربي على متابعة الإنتاج

الدراما العربية الناعمة تراجعت إلى دراما خشنة ومنحلة لتبييض وجه النظم والحكومات

الجمهور العربي الإسلامي يشاهد بالدراما التركية الجديدة قادة متواضعين يحرصون على إرضاء ربهم

التركي الذي يقدم جهاد الأتراك من أجل الوحدة وبناء الدولة، والفتوحات، ونشر الإسلام، ورفع المظالم، والسعي نحو العلم والمعرفة والحضارة في جوانبها المختلفة؟

إن الجمهور العربي الإسلامي الآن يرى دراما تركية فنية خالية من الابتذال والسوقية والبلطجة والتزوير والمنكرات، وإن لم تخلُ من ضعف البشر وسلبياتهم التي يراها الفن التركي بشكل بعيد عن الافتعال والتكلف، الجمهور العربي الإسلامي يشاهد في الدراما التركية الجديدة قادة متواضعين يحرصون على إرضاء ربهم وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والعطف على الفقراء والضعفاء والمساكين، وإجارة اللاجئين والمطاردين، وإقامة العدل ونصرة المظلومين والمقهورين، وقبل ذلك يتشاورون ويتحاورون، هذه رسالة سياسية بالدرجة الأولى تمسح ما علق بالأذهان عن صورة للتركي الدموي الغبي الشرس الظالم الطامع في ممتلكات الآخرين، وهي الصورة التي فرضتها النخب العربية في التعليم والإعلام والثقافة العربية اقتداء بالرؤية الاستعمارية الغربية التي تكره من يقاومها وتشوهه.

وللأسف الشديد، فإن أبواق بعض الأنظمة في البلاد العربية لا يعجبهم أن تتبنى الدراما التركية تصور الإسلام؛ لأنهم يرون الإسلام مرادفاً للتطرف والإرهاب والجمود والتخلف والظلام، كما علّمهم الغرب والاستبداد المحلي.

والسؤال هو: لماذا يتابع الملايين في العالم الإسلامي وخارجه (142 دولة) هذه المسلسلات، لدرجة أن بعض المشاهدين من غير المسلمين أعلنوا إسلامهم نتيجة لمشاهدة «أرطغرل» و«نهضة السلاجقة» و«ألب أرسلان»؟ ولماذا راجع كثير من الناس مواقفهم بعد مشاهدة «عاصمة عبدالحميد» ورأوا ما فعله اليهود ومنظماتهم الشيوعية والماسونية والأرمن وبريطانيا وفرنسا وروسيا من تآمر وغدر وقتل؟■

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع

ليس من المبالغة في شيء أن نعتبر الدراما بمثابة المدفعية الثقيلة التي توجه لتحطيم القيم الأصيلة للأسرة، تلك القيم المستمدة بالأساس من التشريع الإسلامي، فالدراما تصل بسهولة ويسر لجميع الفئات والشرائح العمرية، وتلقى نسب مشاهدة عالية جداً عكس البرامج الفكرية والثقافية التي لا تخاطب إلا النخبة، ولا تكمن أهمية وخطورة الدراما في استهدافها لقطاعات شاسعة فحسب لعدد طويل من الساعات، ولكن منهجية الدراما في توصيل الأفكار أنها تخاطب العواطف الإنسانية أولاً؛ فتنساب الأفكار تتخلل هذه العاطفة.

الدراما.. و«تسييس» قضايا الأسرة

المشاهد للدراما لا يكون في كامل وعيه، فهو لا يجلس أمام العمل الدرامي يناقش ويحلل وينتقد، بل يشاهد ويتفاعل ويتأثر، والعمل الدرامي الجيد هو ذلك الذي يخترق وعي المشاهد وصولاً لعقله الباطن أو اللاوعي؛ فيرسم صوراً ذهنية غائرة وعميقة وثابتة تقوم بما يشبه البرمجة لشخصية المشاهد ولمنهجيته في التفكير والتعاطي مع القضايا المختلفة.

وإذا تحدثنا عن الدور الذي تؤديه الدراما في التأثير وتوجيه الرأي العام فيما يتعلق بقضايا الأسرة، سنجد التأثير الأقوى على الإطلاق؛ لأنها قضايا تلمس الناس بشكل مباشر ومن ثم يكون التفاعل معها أكثر وقعاً.

عندما تتجه الدراما لتحطيم قيم الأسرة الأصيلة، فهي تستغل أن هذه القيم اختلطت بعادات ما أنزل الله بها من سلطان، وسلوكيات رديئة تتناقض مع التشريع، وبدلاً من إماطة هذا الأذى النفسي والسلوكي والانتصار للقيم الحقيقية والأصيلة، يتم الخلط والتدليس بهدف النيل من هذه القيم التي تقف كحاجز منيع يحول بين الأسرة والمخطط الأممي الغربي لتفكيكها وتحويلها لأنماط جديدة تنتصر لقيم «الجندر» (النوع الاجتماعي) وتوابعه، هذا المخطط الأممي الذي لا يمثل سوى الوجه الكالح لثقافة الغرب التي يسعى لفرضها باعتبارها قيماً إنسانية عالمية أخرجت قضايا الأسرة من دائرة القضايا الاجتماعية لدائرة القضايا السياسية، حيث نصت المادة (1) من وثيقة إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) على «اتخاذ جميع التدابير المناسبة، بما في ذلك التشريعي منها، لتغيير أو إبطال القائم من القوانين والأنظمة والأعراف والممارسات التي تشكل تمييزاً ضد المرأة».

عندما تحولت قضايا الأسرة إلى قضايا سياسية تتخذ جميع التدابير من أجل فرض قيمها الجديدة المغايرة، كان لا بد من استخدام التدابير الثقافية وعلى رأسها استخدام الدراما وتوظيفها لتحقيق هذا الهدف الذي أعربت عنه المادة الخامسة من نفس الوثيقة، حيث نصت في المادة (أ) على تغيير الأنماط الاجتماعية والثقافية لسلوك الرجل والمرأة والقضاء على أي أدوار نمطية للرجل والمرأة.

كما نصت في المادة (ب) على اعتبار الأمومة وظيفة اجتماعية «فمن الممكن أن يقوم بها الرجل أو المرأة أو المتحول أو العابر جنسياً»، هذه الأفكار الصادمة التي تسعى لها الوثيقة الأممية لا يمكن لأي تدابير تشريعية أن تقوم بها دون تدابير ثقافية، وهذا هو الدور الذي مارسته الدراما باقتدار.

إستراتيجية العمل

«كثير من العسل، قليل من السم، مع الاستمرارية؛ يتحقق الهدف»، هذه هي إستراتيجية القائمين على الأعمال الدرامية الموجهة للأسرة، وبالتدريج

يرتفع مقدار السم، ولا بأس بصدمة بين الحين والآخر تكون بمثابة بالون اختبار لقياس مدى تقبل الجماهير لتلك الأفكار السامة، لو أخذنا مسلسل «فاتن أمل حربي» الذي عرض على شاشات التلفاز في رمضان الماضي، نجده يجسد هذه الإستراتيجية بأكبر قدر من الفاعلية، فالمشاهد يتعاطف مع بطلة المسلسل التي تعاني أشد المعاناة مع زوج يعنفها ويهينها ويبخل عليها حتى ينتهي الأمر بالطلاق، وهنا تبدأ العقدة الحقيقية للمسلسل؛ حيث معاناة الزوجة في أروقة محاكم الأسرة حتى تنتزع حقوقها الشرعية من هذا الرجل.

هذا هو العسل الذي يجذب المشاهد من خلال قصة رغم ما فيها من ألم ووجع، فإنها تحدث بالفعل، فمن الممكن أن ترى المرأة نفسها أو أختها أو جارتها مكان البطلة؛ وبالتالي تحدث حالة من التوحد العاطفي معها.

الدراما بمثابة المدفعية الثقيلة التي توجه لتحطيم القيم الأصيلة للأسرة

العمل الدرامي الجيد يخترق وعي المشاهد وصولاً لعقله الباطن

المخطط الأممي لا يمثل سوى الوجه الكالح لثقافة الغرب التي يسعى لفرضها باعتبارها قيماً إنسانية عالمية

أما السم هنا فهو من النوع الصادم الذي لا يمكن تمريره بسهولة من ذلك النوع الذي يمثل بالون اختبار حقيقياً، فهنا لا يتم شجب العادات المجتمعية أو المجتمع الذكوري أو حتى المطالبة بتغيير قوانين الأحوال الشخصية حتى تتحقق المساواة بين الرجل والمرأة كما تنص الوثائق الأممية، بل إن المؤلف هنا يوجه سهامه مباشرة وبشكل صريح لا يقبل المواراة للتشريع الإسلامي.

المؤلف (إبراهيم عيسى الذي يقاتل لأجل نشر أفكاره تارة من خلال الرواية كما في روايته «رحلة الدم.. القتلة الأوائل»، ثم في السينما كما في فيلم «مولانا»، الآن يتجه للدراما التي تدخل كل بيت، عيسى الذي يقاتل لأجل خلخلة الإسلام من الداخل فيرفض السُّنة النبوية ويكتفي بالقرآن ويرفض أقوال المفسرين والعلماء بل ويحقّر منهم) يعبر عن أفكاره الساقطة بجملة تقولها بطلة المسلسل وتصل لعامة الناس كخلاصة أفكاره: «هو ربنا بنفسه اللي قال كده؟»، أو جملة «مليش دعوة بالفقه»، أو جملة «ربنا اللي قال ولا أنتم؟» (الشيوخ)، «مش محتاجة أدرس علشان أفهم كلام ربنا»، إن المؤلف الذي يدعو لمذهب القرآنيين ظاهراً يريد، كما جاء على لسان البطلة، أن يكون الحكم الشرعي مذكوراً بأدق التفاصيل في النص القرآني، وربما في مرحلة لاحقة يطالب أن يكون باللهجة العامية كما جاء على لسان البطلة!

هذا السفه ليس توقيراً ولا احتراماً لكتاب الله عز وجل بحال من الأحوال، بل استهانة واستهزاء بالغي الوضوح، ولكن البطلة يرتجف صوتها وتتساقط دموعها وهي تهتف بالشيخ الله رحيم وعادل ولا يمكن أن يحرم أماً من أبنائها بعد أن طالبته بآية تقول: «إن الست المطلقة لما تتجوز تسقط عنها حضانة أطفالها»، لأنها دارسة للقانون وموظفة في الشهر العقاري، فهي تريد لائحة واضحة وليس كلام شيوخ وفقهاء لا يرون في المرأة إلا مخلوقاً ناقص العقل.

هذا الحوار وهذا الكلام السمج الذي يقطر جهلاً ويلتحف مشاعر وعواطف يدور على الأقل مع 3 شيوخ، فينحاز لها أحدهم (الشيخ المستنير).

أثار هذا المسلسل لغطاً شديداً أثناء وبعد عرضه وتساؤلات كثيرة لعامة الناس عن الحكم الشرعي ومصادره وعن الفقه وأصوله.. لكن أخطر ما أثاره يتجاوز الأفكار التي طرحت وإنما في الرسائل المبطنة التي وصلت للعقل الجمعي اللاواعي خاصة بالنسبة للنساء، تلك الرسائل التي اختلطت فيها الأفكار بالعاطفة مستغلة حالة الجهل الديني لخدمة قيم فكرية تخدم منظومة تسعى لاستخدام كافة التدابير خاصة الثقافية (وفي القلب منها الدراما) لفرض واقع جديد.■

الدراما الصهيونية

إمام أبوزهرة

مع بدايات ظهور الشريط السينمائي واختراع الأخوين «لومير» لآلة العرض السينمائي، انتبهت الحركة الصهيونية إلى هذا الاختراع الجديد، واستثمرته في دعم مشروعاتها الفكرية والتوسعية، وتنبه صانعو الصهيونية إلى هذه الوسيلة الجديدة كأداة للدعاية التعبوية القادرة على إعادة بعث شعب تشتت في العالم لمدة 2000 عام على شكل أمة واحدة، فضلاً عن الترويج لمظلومية مفترضة وهو نزعه من أرضه ونفيه منها، وبذلك كان لا بد من الترويج لخرافة حق العودة للوطن المقدس.

نشأ الاهتمام بالسينما بالنسبة لليهود من خلال المؤتمر التثقيفي الصهيوني المنعقد ببازل عام 1897م، حيث أكد في بنده الثالث أهمية الإعلام التثقيفي لخلق «إسرائيل»، ومن هنا برزت ضرورة نشر الروح القومية والوعي القومي بين يهود العالم للاهتمام بالسينما، بعدها قام المخرج «جورج ميليه»، أحد رواد فن السينما، بإخراج فيلم «قضية دريفوس» الذي عرض عام 1899م، مضخماً من حجم الاضطهاد الذي عانى منه اليهود في أوروبا، من خلال موقف صغير عمد المخرج لتهويله ليضع المشاهد أمام قضية إنسانية.

تطورت إستراتيجية الاستخدام فيما بعد بحيث تم تجنيد السينما العالمية، لدعم فكرة «الوطن الواحد» الذي يضم القومية اليهودية المتخيلة لدى صانعي الصهيونية، وكان لا بد من ربط هذا الوطن بنبوءة مزعومة؛ وهي «أرض الميعاد»، مصحوبة بأكذوبة أخرى تدَّعي أن الأرض بقيت بدون شعب حتى تاريخ الهجرات الحديثة.

فبعد عرض فيلم «قضية دريفوس»، حاول «تيودور هرتزل»، مؤسس الصهيونية العالمية، إنتاج فيلم «أرض الميعاد»، واستمرت المحاولة منذ عام 1899 إلى 1902م، إلا أنه لم يستطع إكمال المشروع، ليظل المشروع متوقفاً حتى عام 1903م عندما أوفدت شركة «أديسون» أحد مصوريها لإنتاج سلسلة أفلام دعائية لصالح نشاطات الوكالة اليهودية بهدف توثيق وصول المهاجرين إلى أرض الميعاد، وتصويرها كأرض خالية من السكان.

استمرت هذه الموجة من الأفلام حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى لتوثق أيضاً هزيمة الجيش التركي، ومشاهد الحرب في فلسطين، إضافة إلى مجموعة من الأفلام التي راحت تحكي مجموعة من قصص العهد القديم «الابن الضال»، «شمشون ودليلة»، وذلك بهدف التأكيد على عقيدة أرض الميعاد.

واتسمت مرحلة ما قبل نكبة عام 1948م بأنها مرحلة ترسيخ عقيدة القومية الواحدة، التي يجب أن تعود إلى الأرض التي وعد الله بها إبراهيم عليه السلام، واستخدمت فيها الدراما والأفلام التوثيقية والدراما التاريخية المعتمدة على نصوص التوراة.

ولكن مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، كان لا بد من تعديل الرسائل الدعائية وبناء الشخصية الصهيونية القادرة على امتلاك الأرض ومحاربة الأعداء، ولكن كيف سيتم ذلك في ظل استمرار تبعية العقلية اليهودية للغرب، وسقوطها في فخ العبودية للشخصية الغربية التي عاشت قروناً تحتقرها؟

كان لا بد من تأهيل جديد وإنتاج ذكورية يهودية للفرد، فالخطاب الطبي في أوروبا كان دوماً يصم الجسد اليهودي بالخنوثة والمرض والجنون والانحراف الجنسي، وقد ظهرت تلك النزعات في كتابات العديد من الفلاسفة والمفكرين حتى اليهود منهم مثل «فرويد» عضدوا تلك الصورة الذهنية.

توجهت تلك المرحلة من الإنتاج السينمائي الدرامي للشخصية اليهودية وتحديداً للذكر الذي يجب أن يتم تجهيزه ليتحول إلى أداة قتل واستيلاء على الأرض

مرحلة ما قبل «النكبة» رسخت عقيدة القومية الواحدة واستخدمت فيها الدراما التاريخية المعتمدة على نصوص التوراة

.. وأفلامها غذت فكرة العنف والقوة الذكورية ضد الآخر في سبيل الحفاظ على الذات القومية والأرض

والاستغلال السياسي

وامتلاكها بالقوة، فكان من أهم أفلام تلك المرحلة فيلم «غداً يوم رائع»، الذي يحكي قصة فتى نجا من «الهولوكوست» لكنه عاجز عن مواجهة الحياة، إلا أنه عندما انتقل إلى فلسطين يصطدم بالأسلاك الشائكة لـ«الكيبوتس» التي يعيش فيها، فيتعامل بعنف معها ومع النباتات والحيوانات ويتعافى بعدها، في إشارة إلى تحطيم كل حواجزه ومخاوفه النفسية.

غذت أفلام تلك المرحلة فكرة العنف والقوة الذكورية ضد الآخر في سبيل الحفاظ على الذات القومية والأرض تمهيداً لبناء الوطن، فالبطل الذكر القوي القاتل هو مراد الأرض، أما الذكر القتيل في المحرقة فهو يستحق ما حدث له لأنه ضعيف، وكان الملاحظ في الدراما من عام 1945 إلى 1948م أنها لا تظهر أي وجود فلسطيني في مشاهد الصراع.

بعد إعلان الدولة الصهيونية، توجهت الرسائل من خلال الدراما السينمائية إلى الخارج، كان الهدف إقناع العالم بهذا الكيان، ونسيان مسمى فلسطين، فركزت هذه المرحلة على إظهار اليهودي كشخص مساهم في الرصيد الحضاري للإنسانية في مواجهة العربي المسلم الهمجي، وكان من أهم أفلام تلك الفترة فيلم «سيف الصحراء» للمخرج «جورج شيرمان»، الذي تناول ميلاد الكيان الصهيوني من خلال قائد سفينة إنجليزي مليئة بالمهاجرين، وعليه إما أن يكون جباناً كالعادة أو أن يصبح بطلاً ويقف بجانب المهاجرين، موجهاً اتهاماً للإنجليز بالتعاون والوقوف مع العرب، وذلك بهدف إبراز الشخصية الصهيونية كبطل يواجه العالم بمفرده من أجل حقه المشروع.

نستطيع القول: إن الفترة من عام 1948 إلى 1967م ركزت على عدم إظهار العرب في صدارة العمل الدرامي، وحولت الصراع الصهيوني مع العرب إلى صراع مع القوى الدولية من أجل إقامة دولتها، فمثلاً فيلم «المشي خلال الحقول»، وهو فيلم حربي لا يقدم مواجهة بين فلسطيني وصهيوني، ولكنه يقدم مواجهة بين العصابات الصهيونية والبريطانيين، فما زالت دعاية الأرض الخالية من الشعب مسيطرة على المشهد خلال تلك الفترة.

الغريب أن تلك المرحلة ورغم مشاركة الكيان في العدوان الثلاثي على مصر، فإنها منعت إنتاج أفلام حربية عن معارك الصهاينة في سيناء، بل تعدى الأمر إلى منعها لفيلم «الطلائع الزرقاء» للمخرج «ثورلد دينكسون»؛ بسبب تناوله لحرب عام 1956م، وتعبيره عن وجهة نظر الأمم المتحدة، ويبدو أن ذلك وفقاً لما ذكره منير الصلاحي في دراسته عن الرواية الصهيونية يرجع إلى أن مصر كانت تواجه ثلاث قوى، منها قوتان من القوى العظمى، وأنها خرجت بنصر سياسي على القوتين.

بعد إعلان الدولة الصهيونية توجهت الدراما إلى إظهار اليهودي كمساهم في الرصيد الحضاري

بعد «النكسة» روجت الدعاية الصهيونية لنسيان القضية الفلسطينية وتقبل وجود الصهاينة كملاك للأرض

«النكسة» والسينما الصهيونية

وضعت الدعاية الصهيونية عدة أهداف للإنتاج الدرامي بعد هزيمة العرب في يونيو 1967م، فكان هدفها الأول الترويج لضرورة نسيان القضية الفلسطينية، وتقبل وجود الصهاينة كملاك أصليين للأرض، باعتبار أنهم أصحاب حق استعادوه، مضيفة إلى رسائلها أن الدولة الصهيونية تقوم بمهمة سلام في المنطقة وتدافع عن مبادئ العالم الحر في منطقة يسيطر عليها الشيوعيون.

وكان تمجيد القوة العسكرية الترويج للجيش الذي لا يقهر سمة تلك المرحلة، عبر عن ذلك جيداً فيلم «سيناء 68»، الذي يصطنع بطولة لثمانية أفراد من جيش الاحتلال يحاصَرون في سيناء وتُدمَّر المدرعة التي تقلهم، ولكنهم يواصلون مقاومة الجيش المصري رغم العطش والجوع، إلى أن يلحق بها جيش الاحتلال وينقذهم، وعلى هذا المنوال نسجت أفلام كثيرة في تلك المرحلة.■

المراجع

1 – سمير فريد، مدخل إلى السينما الصهيونية.
2 – منير صلاحي، الحقيقة والرواية.
3 – أمير العمري، سينما الهلاك.. اتجاهات وأشكال السينما الصهيونية.
4 – رؤوف توفيق، سينما اليهود دموع وجنائز.
5 – محمد عبيدو، السينما الصهيونية شاشة للتضليل.
6 – لينا أبو الحلاوة، الصهيونية تحولات أساطير البطولة، ورقة بحثية.

الدراما والسياسة.. بين الشرق والغرب

مصطفى عاشور

للدراما دورها في تشكيل الوعي الجماهيري؛ فالصورة التي تقدمها -خاصة في السينما والتلفزيون- تنطبع في العقول، ومع التكرار والإلحاح تعيد تشكيل الوعي أكثر من قيامها بإعادة صياغة الواقع؛ لذا توصف بأنها إحدى أدوات «القوة الناعمة» التي تحرص السلطة على امتلاكها وتوظيفها؛ فلم تعد الدراما أحد أشكال الترفيه أو الإمتاع فقط، لكن تعدى دورها لتصبح إحدى أدوات السياسة في التغيير أو التضليل.

يرتكز مفهوم التضليل السياسي على فكرة احتفاظ الشخص بشدة بالمعلومات الخاطئة، أما على المستوى الجماهيري فيقود التضليل إلى بناء تحيزات جماهيرية تجاه قضايا وقوى سياسية معينة، بناء على صورة ذهنية تم ترسيخها، وقد يدفع هذا التضليل إلى قبول الجماهير لتبريرات السلطة في ارتكاب فظائع واعتقالات وتصفيات ضد المعارضة، دون أن تشعر تلك الجماهير بأي وخز ضميري؛ فالتضليل يُحدث تغييراً في معايير الأخلاق والقيم والعدل لدى الجماهير.

بين الدراما والسياسة:

الفن في أغلبه يخاطب اللاوعي الإنساني، بُغية التأثير في الوعي، وحسب دراسات في علم النفس، فإن مشاهدة الأفلام تنشط خلايا معينة في المخ، وتخلق رغبة في محاكاة الأبطال، وحسب النظريات السلوكية، فإن مشاهدة الأفلام تؤثر في حياتنا، ومن ثم كان توظيف السياسة للدراما أحد أشكال التأثير في الواقع، وربما هذا ما حدا بالأديب الإسباني الراحل «كارلوس زيفون» أن يعتبر السينما نوعاً من الاحتيال، ووسيلة لتغطية خداع العامة وتجهيلهم، متهماً إياها بأنها أداة لخلق حشود من الأميين.

والعلاقة بين الفن والسياسة متعددة الأوجه والأغراض؛ فقد كانا على مر التاريخ متشابكين؛ نظراً لدور الفن في تشكيل هوية المجتمع الثقافية، وإيصال رسائل ذات أهداف سياسية لإظهار الواقع بشكل معين، أو حتى تغييب هذا الواقع، أو تشويه قوى سياسية؛ فالفن حاضر مع السياسة توظيفاً وتأثيراً.

ومن يطالع كتاب «من يدفع للزمار» (Who paid the piper?) للمؤرخة البريطانية «فرانسيس سوندرز»، سيلاحظ الدور الذي قامت به أجهزة

الاستخبارات الغربية لتدعيم بعض الفنون وتوظيفها كإحدى الأدوات الفاعلة في الحرب الباردة، حتى تمكنت الولايات المتحدة وحلفاؤها من تقويض القوة الأخلاقية للشيوعية، وإحداث شروخ نفسية وثقافية في النموذج السوفييتي، ونشير هنا إلى سلسلة أفلام «جيمس بوند» في مطلع الستينيات من القرن الماضي التي استمرت أكثر من نصف قرن، أُنتج خلالها 26 فيلماً تناولت موضوع الجاسوسية، واستطاعت تقويض النموذج السوفييتي، حتى انهياره عام 1989م.

تشويه العرب والمسلمين:

أما تشويه العرب والمسلمين من خلال الدراما في السينما الأمريكية والغربية، فكان مساراً كبيراً ازداد بعد أحداث سبتمبر 2001م؛ إذ طُبع في الأذهان صورة ذهنية للمسلم على أنه إرهابي، وتسربت هذه الصورة إلى الوعي الجماهيري؛ فساهمت في تعميق كراهية الإسلام والمسلمين أو ما يُعرف بـ«الإسلاموفوبيا».

ربما قد يكون من المفيد الإشارة إلى إحصاء للدكتور أنس الشيخ علي، أستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة لندن، وهو أن عدد الروايات التي هاجمت الإسلام والمسلمين في الغرب بلغت 1800 خلال 20 عاماً فقط (1974 – 1994م)، ثم ارتفعت إلى 3600 في وقتنا الحاضر، ولا شك أن بعضها عرف طريقه إلى الدراما.

ففي دراسة صدرت عام 2015م لـ«جيرنوت ماير» عن «الإسلاموفوبيا» في مسلسل «الوطن» (Homeland) الأكثر شهرة في التلفزيون الأمريكي، كان من أكثر البرامج تخويفاً من الإسلام والمسلمين، رغم أنه مقتبس من المسلسل الصهيوني «أسرى الحرب» (Prisoners of War)، وكذلك مسلسل «24» الأمريكي الشهير، الذي تم عرضه في نوفمبر 2001م (أي في ذروة الغضب الأمريكي بعد أحداث سبتمبر)، وامتد عرضه

الدراما لم تعد أحد أشكال الترفيه فقط بل أصبحت إحدى أدوات التغيير أو التضليل

العلاقة بين الفن والسياسة متعددة الأغراض على مر التاريخ فهما حاضران معاً توظيفاً وتأثيراً

دراسة: عدد الروايات التي هاجمت الإسلام في الغرب بلغت 1800 خلال عقدين فقط

8 مواسم، عُرضت خلاله 192 حلقة، وأكدت تلك الدراما نمطية الصورة عن الإسلام.

الدراما والانتقام من الخصوم:

وفي الحالة المصرية، يلاحظ أن الفن خضع للتوظيف السياسي على امتداد الأجيال المتعاقبة لحركة يوليو 1952م، حيث أدرك الضباط أهمية الدراما والسينما في سحب البساط من العصر الملكي؛ فكتب اللواء محمد نجيب مقالاً مبكراً بعنوان «الفن الذي نريده»، معتبراً السينما من أدوات التثقيف السياسي وليس للترفيه أو التسلية فقط، فوضعت الدراما أنشطتها لتدعيم جهود السلطة وإيصال مشروعها وأهدافها السياسية إلى الجماهير، ومن ناحية أخرى تم تصفية الحسابات بين حركة يوليو ومعارضيها، فظهرت عدة أفلام تشوّه العصر الملكي، مثل: «غروب وشروق»، و«القاهرة 30»، و«رد قلبي»، و«في بيتنا رجل».

ومع انتهاء الحقبة الناصرية، بدأ الرئيس السادات عصره متكئاً على الدراما لإبراز انتهاكات الناصرية لحقوق الإنسان، واتباعها سياسة قمعية عنيفة، أساءت إلى المواطنين، وكانت البداية بعد أشهر قليلة من توليه السلطة؛ فكان فيلم «ثرثرة فوق النيل» عام 1971م الذي استعرض أسباب هزيمة يونيو 1967م، أما فيلم «زائر الفجر» فعرض فظائع ارتُكبت بحق السياسيين المعارضين، وحقق شهرة عندما منعته الرقابة بعد أسبوع واحد من عرضه في السينما عام 1973م، وكذلك فيلم «العصفور» الذي تناول فساد القطاع العام، لكن الفيلم الأشهر كان «الكرنك»، أما فيلم «عودة الابن الضال» الذي أخرجه يوسف شاهين؛ فتحول فيه الشاعر صلاح جاهين من لسان لحركة يوليو إلى ناقد لها بكل ما أوتي من قوة، وكذلك عُرض فيلم «وراء الشمس»، و«إحنا بتوع الأتوبيس»، و«الرصاصة لا تزال في جيبي».

نجحت الأفلام التي أنتجت خلال سنوات حكم السادات في إزالة الأصباغ والمساحيق التي أخفت حقيقة الناصرية، كذلك انطلقت تلك الدراما عبر مجموعة الحقائق لانتقاد الناصرية، مرتكزة على قيم إنسانية وأخلاقية في النقد؛ لعل أبرزها رفض نهج التعذيب والفساد

ومراكز القوى وقمع الحريات.

ومع عصر مبارك، تناولت الدراما في البداية آثار الانفتاح الاقتصادي، وتعملق الفساد، ونمو الطبقات الطفيلية، وتكاثر الأزمات المعيشية والطبقية، وتنامي الاستيراد والروح الاستهلاكية، ومن تلك الأفلام: «سواق الأتوبيس» عام 1982م، وفيلم «البريء» الذي تناول عمليات غسيل المخ التي يتعرض لها جنود الأمن المركزي، وتأثير ذلك على عنفهم ضد المعارضين، وفيلم «زوجة رجل مهم» الذي تناول موقف السلطة من أحداث انتفاضة الخبز 1977م، وفيلم «الغول» عام 1983م، وهو مأخوذ عن مسلسل إذاعي بعنوان «قانون سكسونيا» وقد كتبه وحيد حامد، وفي العام 1987م كان فيلم «زمن عاطف زهران»، وهنا يلاحظ أن بعض المؤلفين وصناع السينما كانوا من المتأثرين بالتجربة الناصرية، فاستخدموا الدراما باحتراف للانتقام من الحقبة الساداتية.

ومع صعود جماعة الإخوان المسلمين السياسي والاجتماعي، بعد منتصف الثمانينيات، ثم مع صدام الدولة مع بعض الجماعات الدينية المتطرفة، نسجت الدراما علاقة بين التدين والعنف والإرهاب؛ فظهر في تلك السنوات الكثير من الأفلام التي شوهت صورة المتدين، وأسبغت عليه العنف والإرهاب وضيق الأفق والدموية، مثل فيلم «الإرهاب» عام 1989م، و«الإرهاب والكباب»، و«الإرهابي»، و«الناجون من النار»، و«طيور الظلام».

ومع تصاعد العداء السياسي عام 2010م بين مبارك وجماعة الإخوان، ظهر مسلسل «الجماعة» بتكلفة ضخمة اقتربت من 10 ملايين دولار، وعرض

في بعض المسلسلات تعدى التشويه إلى التعدي على القيم الدينية مثل «فاتن أمل حربي»

الدراما المصرية وضعت أنشطتها لتدعيم السلطة وتم تصفية الحسابات بين حركة يوليو ومعارضيها

الأفلام بفترة السادات نجحت في إزالة الأصباغ التي أخفت حقيقة الناصرية

في شهر رمضان، والطريف أن وكالة «أسوشيتد برس» كتبت أن المسلسل أدخل الجماعة في كل بيت، وبدلاً من التشويه زادت التساؤلات حول الإخوان، وهي سياسة استمرت بعد 30 يوليو 2013م،

فأكدت دراسة بعنوان «الدراما الوطنية تطارد فلول الوعي الزائف»، أن الدولة المصرية وجدت ضالتها في الدراما لتصفية ما أسمته «فلول الوعي الزائف وخطاب المؤامرة»؛ فمنذ ذلك التاريخ قُدمت الدراما بشكل مكثف لتشويه خصوم النظام بلا هوادة، وكان أبرزها مسلسل «الاختيار» بمواسمه الثلاثة، لكن في مسلسلات أخرى تعدى التشويه إلى التعدي على القيم الدينية مثل مسلسل «فاتن أمل حربي» الذي دفع الأزهر لاستنكار ما جاء فيه، في بيان أصدره، في أبريل 2022م.

وتبقى في الفن قوة كامنة على إثارة وجدان الإنسان، وقدرة على إيقاظ المشاعر والأفكار، وطاقة دافعة إذا أُحسن توظيفها، وروعة وبراعة في شحذ الطاقات، وكما يقال: «الفن الحقيقي هو دفاع عن الضمير»، وكما أشار المفكر الكبير علي عزت بيجوفيتش أن «بحث الفن عما هو إنساني هو بحث عن الله»، فهو لحظة تحرر إذا أفلت من مخالب السياسة، لذا تخشى الدكتاتورية هذه اللحظة، وهنا يذكرنا التاريخ بمنع النازية لفيلم «الدكتاتور العظيم» عام 1940م للفنان «شارلي شابلن»، لسخريته من «هتلر»، ورغم مرور 80 عاماً، فإن الدراما نجحت في تجسيد شخصية الدكتاتور والسخرية منها.■

مقال

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

ربانيون مع الأجيال..

إصلاح!

في رحاب «ربانية التعليم»، يظل الداعية المربي والأب الرباني يحسن عرض فكرته ويعدد طرق تعليمه بما يواكب عقلية الجيل وبما ألفوه وفهموه واعتادوا عليه، رائده الحكمة وروعة الخطاب، الخطاب السهل البسيط المبشر الميسّر الذي يجمع ولا يفرق ويؤلف ولا يؤلب؛ فيه الآية والحديث والقصة والشعر والمثال والطرائف والرقائق مقتبساً من الماضي والحاضر والواقع والحدث ومشكلات العصر، وخلاصة هذا الخطاب وهدفه الإصلاح.

إصلاح القلب والنفس:

«إن في القلب شعثاً لا يلمه إلا الإقبال على الله، وعليه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده المطلوب، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته ودوام ذكره والإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً»[1].

ويجب الانتباه إلى النفس؛ نفسك التي بين جنبيك، فمن أكبر العقوبات للعبد أن يُنسيه الله تعالى نفسه؛ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر: 19).

والمسلم الذكي الكيس يجاهد نفسه، متضرعاً إلى الله تعالى، وداعياً أن يبصره بحقيقة نفسه.

«نفسك عالم عجيب، يتبدل كل لحظة ويتغير، ولا يستقر على حال؛ تحب المرء فتراه ملكاً، ثم تكرهه فتبصره شيطاناً، وما ملكاً كان قط ولا شيطاناً، وما تبدل، ولكن تبدلت حالة نفسك، وتكون في مسرة فترى الدنيا ضاحكة، حتى إنك لو كنت مصوراً لملأت صورتها على لوحتك بزاهي الألوان، ثم تراها وأنت في كدر باكية قد غرقت في سواد الحداد، وما ضحكت الدنيا ولا بكت، ولكن كنت أنت الضاحك الباكي»[2].

«في النفس كبر إبليس، وحسدُ قابيل، وعُتُوّ عاد، وطغيان ثمود، وجرأة النمرود، واستطالة فرعون، وبغي قارون، ووقاحة هامان، وهوى بلعام، وحيَل أصحاب السبت، وتمرّد الوليد، وجهل أبي جهل.. وفيها من أخلاق البهائم: حرصُ الغراب، وشرهُ الكلب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجُعَل، وعقوقُ الضب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصولةُ الأسد، وفَسقُ الفأرة، وخبثُ الحيّة، وعبثُ القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفّة الفراش، ونوم الضبع.. غير أنّ الرياضة والمجاهدة تذهب ذلك»[3].

والبشرية بحاجة إلى نظام صلح وإصلاح؛ نظام يصلح شأنها الخاص وأمرها العام، وهذا لا يكون إلا بالإسلام؛ النظام الرباني الكامل المتكامل؛ «الإسلام نظام شامل، يتناول مظاهر الحياة جميعاً، فهو دولة ووطن، أو حكومة وأمة، وهو خُلُقٌ وقوة، أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة، أو كسب وغِنَى، وهو جهاد ودعوة، أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة، وعبادة صحيحة سواء بسواء»[4].

والداعية الرباني والأب الحكيم المربي يقرّب المعاني ويبسّط المفاهيم وهو يخاطب الجيل مع ربطهم بواقعهم!

قائلاً ومشفقاً وحريصاً:

إنكم تواجهون اليوم مؤامرة الدمار الشامل!

نعم مؤامرة ولست مبالغاً ولا مهوّلاً!

مؤامرة الشذوذ الجنسي التي يطلقون عليها المثلية!

ومؤامرة الإلحاد وربما يطلقون عليها حرية الفكر!

ومؤامرة الحشيش والمخدرات!

إننا إذا اعتصمنا بالإسلام ديناً وعقيدة وعبادة وخلقاً وشريعة ومنهاج حياة؛ إننا ساعتئذ ركبنا سفينة النجاة ووصلنا بإذن الله ساحل الأمان مع موكب الإيمان!

فليطلقها الرباني الحريص:

بالعفة والطهر وجمال الأخلاق ننسف عفن المثلية ونبدد ظلمات الشذوذ.

وبالإيمان والتوحيد نقذف الإلحاد والكفر فإذا هو زاهق.

وبالدعوة للخير وبأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نجعل سوق المخدرات في خسران وعظيم بوار.

والمربي الرباني يدل الناس على الخير؛ فالدال على الخير كفاعله، وأولى الناس الذين يدلهم على الخير هم أهله وأقاربه رجالاً ونساء كباراً وصغاراً.

المراكز التربوية والمجالس الإيمانية والديوانيات، وجمعيات النفع العام التي تُعنى بالقيم والأخلاق، وتقدم الدورات التخصصية، وحلقات المساجد ودور القرآن الكريم ومراكز الدراسات الإسلامية؛ منابع خير وأنوار حكمة ومشاعل نور.

وهل يوجد مكان في العالم أنظف وأطهر وأحسن وأهدأ من المساجد؟!

يمشون نحو بيوت الله إذ سمعوا
«الله أكبر» في شوق وفي جذل
أرواحهم خشعت لله في أدب
قلوبهم من جلال في وجل
نجواهم: ربنا جئناك طائعة
نفوسنا، وعصينا خادع الأمل
إذا سجى الليل قاموه وأعينهم
من خشية الله مثل الجائد الهطل
هم الرجال فلا يلهيهم لعب
عن الصلاة، ولا أكذوبة الكسل[5]

والحمد لله رب العالمين.■

الهوامش

(1) ابن القيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.
(2) علي الطنطاوي، صور وخواطر.
(3) حسن البنا، رسالة التعاليم.
(4) ابن القيم الجوزية، الفوائد.
(5) محمد أحمد الراشد، الرقائق.

المكاسب الصهيونية من زيارة «بايدن»

د. صالح النعامي
كاتب فلسطيني متخصص في الشأن الصهيوني

يمكن للكيان الصهيوني تسجيل 3 إنجازات إستراتيجية في أعقاب زيارة الرئيس الأمريكي «جو بايدن» للمنطقة، التي توجه خلالها إلى كل من «إسرائيل»، ومناطق السلطة الفلسطينية، والسعودية، إلى جانب إخفاق واحد.

وتتمثل الإنجازات في تحقيق اختراق آخر على صعيد التطبيع والاندماج في المنظومة الإقليمية العربية، وتكريس إهمال القضية الفلسطينية، وتوسيع إطار العلاقات الإستراتيجية الخاصة بين واشنطن و«تل أبيب».

حققت زيارة الرئيس الأمريكي «جو بايدن» للمنطقة بعض النقاط؛ فعلى صعيد التطبيع والاندماج في المنطقة، يمكن الإشارة إلى قرار السعودية السماح للطائرات المدنية المغادرة والمتجهة إلى «إسرائيل» بالتحليق في الأجواء السعودية، الذي جاء نتاج مفاوضات غير مباشرة أجريت بين «تل أبيب» والرياض بوساطة أمريكية حول نقل السيادة على جزيرتي «تيران» و«صنافير» من مصر إلى السعودية، فكما أكدت مستويات رسمية وإعلامية صهيونية وأمريكية بأن «إسرائيل» اشترطت موافقتها على نقل الجزيرتين للسيادة السعودية قبول الرياض السماح لطيرانها المدني بالتحليق في الأجواء السعودية، بالإضافة إلى جملة من الترتيبات الأمنية في الجزيرتين، من ضمنها تجريدهما من السلاح، وتركيب كاميرات مراقبة في الجزيرتين تتحكم بها «إسرائيل».

صحيح أن السعودية تجاهر بأنها تشترط التطبيع مع «إسرائيل» بحل القضية الفلسطينية، لكن الزيارات العلنية التي نفذها إعلاميون ورجال أعمال صهاينة للسعودية مع عدم إنكارهم هويتهم الحقيقية، وإن استخدموا جوازات سفر أجنبية، تدل على أن هناك تحولات في الموقف من مسألة التطبيع.

والذي يعزز هذا الاعتقاد حقيقة أن إعلاميين ومثقفين سعوديين باتوا لا يترددون في إجراء مقابلات مع وسائل الإعلام الصهيونية للتعبير عن حماسهم للتطبيع مع «إسرائيل».

مكاسب أمنية واقتصادية

اللافت أن زيارة «بايدن» مثلت مناسبة للمسؤولين الصهاينة للكشف عن بعض خفايا العلاقات مع نظم الحكم العربية، فحسب وسائل الإعلام الصهيونية، فقد أطلع وزير الحرب الصهيوني «بني

غانتس» الرئيس الأمريكي «بايدن»، خلال لقائه به في «تل أبيب»، على سلسلة من الاتفاقات الأمنية السرية التي وقعها الكيان الصهيوني مع دول عربية لا تقيم علاقات دبلوماسية مع «إسرائيل».

من ناحية ثانية، وعلى الرغم من أنه لم يتم التوصل لتفاهمات علنية خلال الزيارة، فإن الحديث الأمريكي الصهيوني عن توحيد المنظومات الرادارية لـ«إسرائيل» ولدول المنطقة أضفى شرعية على مثل هذا التطور حال تم تطبيقه مستقبلاً، مع العلم أن القناة «12» الصهيونية وصحيفة «وول ستريت جورنال» الأمريكية أكدتا أن «إسرائيل» نصبت بالفعل منظومات رادارية في بعض الدول العربية للكشف المبكر عن وجود صواريخ ومسيرات هجومية يمكن أن يطلقها طرف ثالث صوبها.

وقد أفضت زيارة «بايدن» إلى تأجيج الشهية الصهيونية في كل ما يتعلق بتحقيق مكاسب اقتصادية على حساب العرب وانطلاقاً من توظيف إمكاناتهم، فقد دعا وزير المالية الصهيوني «أفيغدور ليبرمان» إلى تدشين سوق عربية «إسرائيلية» مشتركة في المنطقة على غرار فكرة «السوق المشتركة» التي تم تطبيقها في أوروبا، ونوه بأن السوق العربية «الإسرائيلية» المشتركة يجب أن

زيارة «بايدن» مثّلت فرصة للمسؤولين الصهاينة للكشف عن بعض خفايا العلاقات مع نظم الحكم العربية

.. وحققت لـ«إسرائيل» إنجازاً إستراتيجياً تمثل في تكريس إقصاء القضية الفلسطينية

تهدف إلى تطوير العلاقات التجارية والاقتصادية بين «إسرائيل» ودول المنطقة مع كل ما يتطلبه الأمر من بناء خطوط سكك حديدية وطرق وضمان حركة حرة لنقل البضائع؛ وهو ما سيفضي إلى مراكمة إنجازات اقتصادية هائلة لصالح «إسرائيل».

لكن زيارة «بايدن» لم تسفر فقط عن اتساع رقعة التعاون مع دول المشرق العربي، بل مع المغرب أيضاً، فبعد الزيارة توجه قائد جيش الاحتلال «أفيف كوخافي» إلى المغرب في زيارة غير مسبوقة؛ بهدف تعزيز وتوسيع إطار التعاون العسكري بين الجانبين، مع العلم أن هذه الزيارة جاءت تتويجاً لجملة من التطورات على صعيد العلاقة الأمنية والعسكرية بين الرباط و«تل أبيب»، فقد وقّع الطرفان على اتفاقية للتعاون العسكري المشترك، ويجريان مناورات عسكرية مشتركة، كما وقّع المغرب على صفقات لشراء السلاح من «إسرائيل» بمئات الملايين من الدولارات.

القضية الفلسطينية.. الخاسر الأكبر

أما الإنجاز الإستراتيجي الثاني الذي حققته «إسرائيل» خلال زيارة بايدن؛ فتمثل في تكريس إقصاء القضية الفلسطينية وتشريع تجاهلها، فلم يتراجع «بايدن» عن قرارات سلفه «ترمب» المتعلقة بالاعتراف بالقدس المحتلة عاصمة لـ«إسرائيل» ونقل السفارة الأمريكية إليها، وقبوله عملياً موقف «إسرائيل» الرافض لإجراء أي مفاوضات لحل الصراع مع الشعب الفلسطيني، وعدم الإقدام على أي خطوة للجم الاستيطان والتهويد في الضفة والقدس، من هنا لم يكن مستهجناً أن تعلن «دانيلا فايس»، إحدى زعيمات المستوطنين الصهاينة في الضفة الغربية، عزمها بناء عشرات المستوطنات أثناء وبعد زيارة «بايدن».

لقد كرس «بايدن»، خلال زيارته، فكرة السلام الاقتصادي من خلال التبرع بـ200 مليون دولار لمؤسسات فلسطينية، ودعوته لدول عربية للقيام بنفس الخطوة، وتركيزه أيضاً على توسيع الدور الذي تمارسه أمريكا تحت قيادته في تطوير التعاون الأمني بين سلطة عباس و«إسرائيل».

وقد كان لافتاً أن النخب «الإسرائيلية» قد أجمعت على أن القضية الفلسطينية الخاسر الأكبر في جولة «بايدن»، ففي مقاله بصحيفة «هآرتس»، كتب الكاتب «جدعون ليفي» أن الزيارة أثبتت للفلسطينيين أنهم وصلوا إلى

طريق مسدود، واعتبر «ليفي» الزيارة بمثابة شهادة وفاة حل الدولتين الذي مات منذ زمن طويل، والآن أصبح خيار الفلسطينيين الإستراتيجي بالاعتماد على الغرب في نضالهم من أجل نيل حقوقهم الوطنية قد مات هو الآخر، هذا الأمل لفظ أنفاسه، فقد وقع «بايدن» على شهادة الوفاة، على حد تعبيره.

أما الإنجاز الإستراتيجي الثالث الذي جنته «إسرائيل» في زيارة «بايدن» فتمثل في توسيع التعاون الإستراتيجي وتعميق العلاقات الخاصة مع الولايات المتحدة، فقد حرص «بايدن» خلال الزيارة على تأكيد التزامه بتقوية العلاقات الخاصة مع «إسرائيل» على المستوى الإستراتيجي، وعبر عن حبه لـ«إسرائيل» وقدم نفسه على أنه «صهيوني».

أُحب «إسرائيل»!

فقد روى «براك رفيد»، معلق الشؤون السياسية في موقع «واللاه» العبري، أن «بايدن» أبلغ مقربيه قبيل الزيارة أن هدفه منها يتمثل في التدليل لـ«الإسرائيليين» على حبه لـ«إسرائيل»، ونقل «رفيد» عن شخص التقى «بايدن» قبل 10 أيام من الزيارة عنه قوله: معنيٌّ بإظهار الدفء والحب، أريد أن يدرك «الإسرائيليون» كم أنا أحب «إسرائيل».

وهذا ما شجع «إسرائيل» على تقديم قائمة من المطالب الأمنية لـ«بايدن»، ضمنها: تمويل أمريكي لتطوير منظومة دفاع جوي تعمل بالليزر لتحصين عمقها المدني، والضغط عليه للتعجيل بتزويدها بطائرات الشحن الإستراتيجية من طراز «كي سي 46» التي تستخدم في تزويد الطائرات بالوقود أثناء تحليقها، فضلاً عن أن «إسرائيل» أبلغت «بايدن» أنها معنية بالتوصل لمذكرة تفاهم جديدة حول المساعدات الأمريكية لـ«إسرائيل» التي

«بايدن» ركز على توسيع الدور الأمريكي في تطوير التعاون الأمني بين سلطة عباس و«إسرائيل»

كاتب صهيوني اعتبر الزيارة بمثابة شهادة وفاة حل الدولتين

تصل قيمتها 3.8 مليارات دولار، بحيث تمنحها الولايات المتحدة حرية أكبر في استثمار هذه المساعدات بالطريقة التي تخدم مصالحها.

لكن مقابل هذه الإنجازات، فإن «إسرائيل» ومعها دول عربية، قد أخفقت في تغيير موقف «بايدن» من العلاقة مع إيران ونظرته لمستقبل التعاطي مع البرنامج النووي لطهران، فقد راهنت «إسرائيل» على إقناع «بايدن» بعدم عودة الاتفاق النووي وتشديد العقوبات على طهران وعرض التهديد بالخيار العسكري، وضم الترسانة الصاروخية الإيرانية إلى قائمة التهديدات التي يتوجب على أمريكا مواجهتها، والتصدي للتمركز الإيراني في المنطقة وتحديداً في سورية.

لكن على الرغم من أن «بايدن» أكد التزامه بالعمل على عدم تمكين إيران من الحصول على سلاح نووي، وأن واشنطن ستتخذ كل الإجراءات اللازمة لضمان ذلك، فإنه الرئيس الأمريكي أكد رغبة بلاده في العودة للاتفاق النووي على اعتبار أنه أفضل الخيارات التي تضمن عدم تطور البرنامج النووي الإيراني، إلى جانب ذلك، فإن «بايدن» رفض طرح خيار عسكري يمكن الوثوق به كتهديد على الطاولة في حال واصلت طهران برنامجها النووي، كما أن «بايدن» تملص من أي التزام لمواجهة تمدد إيران في المنطقة، سواء في لبنان أو العراق أو اليمن.

قصارى القول، نتائج الزيارة تؤكد أن تسويغ نظم الحكم العربية التطبيع والتعاون العلني والسري مع الصهاينة بمتطلبات مواجهة إيران غير مصداقية على الإطلاق، بدليل أن الولايات المتحدة لا تتبنى عملياً مواقف الصهاينة وهذه النظم من إيران، لكن من أسف، فإن محصلة التطبيع يتمثل في مساعدة «إسرائيل» على محاولة حسم الصراع مع الشعب الفلسطيني لصالحها.■

قمة طهران الثلاثية.. هل انتهى مسار أستانا؟

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

عُقدت في العاصمة الايرانية طهران، في 19 يوليو الماضي، النسخة السابعة من قمم إطار أستانا الثلاثي على المستوى الرئاسي، بمشاركة الرؤساء الروسي «فلاديمير بوتين»، والتركي «رجب طيب أردوغان»، مع صاحب الاستضافة الإيراني «إبراهيم رئيسي».

وعلى عكس الجولات السابقة، فقد كانت هذه القمة في بؤرة الاهتمام السياسي والإعلامي ليس فقط في سورية والمنطقة ولكن حتى دولياً لعدة أسباب؛ فهي القمة الأولى التي جمعت الرؤساء الثلاثة منذ مدة ليست بالبسيطة، منذ ما قبل جائحة «كورونا» على أقل تقدير، رغم أن الجائحة ليست بالتأكيد السبب الوحيد الذي حال دون عقدها مؤخراً.

لم يصدر عن القمم السابقة ومحادثات أستانا بأجمعها قرارات مصيرية أو اختراقات مهمة في القضية السورية مؤخراً، لكن رغم ذلك كان ثمة اهتمام واسع بالقمة الأخيرة، في المقام الأول بسبب التطورات الدولية والإقليمية التي سبقتها وتزامنت معها.

فقد جاءت القمة في وقت تلوّح تركيا فيه بتنفيذ عملية عسكرية جديدة في الشمال السوري تستكمل فيه إنشاء منطقة آمنة خالية من مسلحي قوات سورية الديمقراطية (قسد)، بعد أن أخلّت كل من موسكو وواشنطن بتعهداتهما السابقة في التفاهمات التي أبرمتاها مع أنقرة التي أنهت عملية «نبع السلام» في عام 2019م، فالحديث عن قمة ثلاثية في طهران أتى أولاً على لسان وزير الخارجية الروسي «سيرغي لافروف» لدى زيارته أنقرة، وتباحثه مع المسؤولين الأتراك بخصوص العملية، في يونيو الماضي.

وكذلك، وبما لا يقل أهمية عن ذلك، أتت القمة على هامش الحرب الروسية – الأوكرانية الممتدة منذ شهور، ولا سيما تداعياتها على روسيا، فالأخيرة تتعرض لعقوبات غربية من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي وحلف «الناتو» ومساعٍ لعزلها وعزل مسؤوليها، بما في ذلك مَنع طائرة وزير خارجيتها من الطيران فوق بعض الدول الأوروبية.

ولذلك، فقد كانت القمة بمثابة رسالة من «بوتين» لواشنطن وبروكسل على وجه التحديد بأنه ما زال يملك خيارات بديلة ومساحات للمناورة، وأنه لا يمكن عزله، كما أن لقاءه مع «أردوغان» أتى في سياق المفاوضات مع أوكرانيا بوساطة تركية ورعاية أممية حول أزمة تصدير الحبوب الأوكرانية للعالم.

وقد أتت القمة كذلك بعد توتر غير معلن بين أنقرة وطهران على خلفية الصراع والهجمات المتبادلة بين الأخيرة والكيان الصهيوني، حيث ادعى الأخير أنها بصدد استهداف «إسرائيليين» في تركيا، داعياً إياهم لترك الأراضي التركية فوراً، في حين نفت إيران هذه الادعاءات، ودعت تركيا لتجنيب أراضيها أي تصفية حسابات، لكن ذلك لا ينفي توتراً حصل بين الجانبين ولا سيما وأن كل ذلك ترافق مع مسار تطوير العلاقات بين تركيا والكيان، ومن مؤشرات ذلك التوتر الخفي تأجيل زيارة وزير الخارجية الإيراني لتركيا، التي تمت لاحقاً كمؤشر على تجاوز التوتر مرحلياً.

وإضافة إلى تطورات دولية وإقليمية مهمة أخرى، فقد جاءت القمة الثلاثية بعد زيارة الرئيس الأمريكي «جو بايدن» للمنطقة واجتماعه في جدة مع زعماء 9 دول عربية، في سعي معلن منه لضبط سوق الطاقة المتأثر بالحرب الأوكرانية –

الجولات السابقة من مسار أستانا كانت نسخاً مكررة ولم تقدم إنجازاً يذكر

القمة لم تصل لتوافق الدول الثلاث على الملف الأبرز وهو العملية التركية المحتملة بسورية

الروسية، وتحديد موسكو كميات غازها المصدّر لأوروبا، وإدماج الكيان الصهيوني في المنطقة وزيادة منسوب التعاون معه في مختلف المجالات والقطاعات، وهو أمر يهم إيران وتركيا أيضاً وإن بدرجات متفاوتة.

نسخ مكررة

خلاصة القول: إن الجولات السابقة من مسار أستانا كانت نسخاً مكررة من بعضها إلى حد كبير، ولم تقدم إنجازاً يذكر في السنوات القليلة الأخيرة باستثناء الإطار التنسيقي الذي يحول دون تصادم الدول الثلاث الضامنة في سورية، وباعتبار أنه مسار بدأ في الأصل لما يخص القضية السورية، ورغم أن لقاءات ثنائية خطط لها أن تقام على هامش القمة الثلاثية، فإن القضية السورية -وخصوصاً العملية التركية المحتملة- كانت الملف الأهم على جدول أعمالها.

التصريحات التي سبقت القمة أظهرت فجوة واضحة في المواقف من العملية التركية المحتملة في سورية، فتركيا أكدت ضرورة مكافحة الإرهاب ومنع تشكيل «ممر إرهابي» على حدودها الجنوبية، بينما ركزت كل من روسيا وإيران على معاني الحل السياسي في معالجة التهديدات الأمنية التي تحيط بتركيا.

اللقاءات الثنائية لم تنتج اختراقاً ذا بال، بل أتت ضمن المتوقع، فاقترب الطرفان التركي والروسي من التفاهم حول أزمة الحبوب الأوكرانية؛ ما مهد لتوقيع الاتفاق بعد القمة بأيام في إسطنبول برعاية أممية، كما أن الاجتماع السابع لمجلس التعاون الاقتصادي رفيع المستوى بين تركيا وإيران نتج عنه 8 اتفاقيات اعتيادية في عدة مجالات.

أما البيان الختامي للقمة الثلاثية بين «بوتين»، و«أردوغان»، و«رئيسي»، والمكوّن من 16 بنداً، فقد جاء تكراراً للبيانات الختامية السابقة في تأكيده احترام وحدة أراضي سورية وسيادتها، وعدم وجود حل عسكري للأزمة السورية، ومكافحة الإرهاب بجميع أشكاله ومظاهره، ورفض خلق حقائق جديدة على الأرض بما في ذلك مبادرات الحكم الذاتي غير المشروعة، وضرورة التنفيذ الكامل للاتفاقات السابقة بخصوص إدلب، وضرورة تسهيل العودة

الآمنة والطوعية للاجئين والنازحين، ولكن كان اللافت في هذا البيان التركيز على الانتهاكات «الإسرائيلية» بما في ذلك الهجمات العسكرية وتدمير البنى التحتية التي عدَّها البيان انتهاكاً للقانون الدولي والإنساني، فضلاً عن التأكيد على القرارات الدولية بخصوص الجولان السوري المحتل.

ولذا، وبالعودة لكل ما سبق، نجد أن القمة لم تصل لتوافق الدول الثلاث على الملف الأبرز على جدول أعمالها وهو العملية التركية المحتملة في سورية، حيث أكد الرئيس التركي، في حديث صحفي بعد انتهاء القمة، استمرار مكافحة بلاده للمنظمات الإرهابية، بينما قال وزير الخارجية الإيراني «أمير عبداللهيان»: إن بلاده ستعمل على تهدئة الهواجس الأمنية التركية ولكن عبر مسار سياسي، بل إن المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران أكد، خلال لقائه مع «أردوغان»، أن العملية ستضر بسورية وتركيا والمنطقة، وهو ما فهم على أنه تهديد مبطن.

لا يعني ذلك أن القمة فشلت، فهي قد نجحت على المستويات الثنائية، من خلال الاتفاقات الموقعة بين تركيا وإيران من جهة، وتقارب وجهات النظر بين تركيا وروسيا بخصوص أزمة تصدير الحبوب من جهة أخرى، وهو ما نتج عنه الاتفاقية التي وقعها بعد أيام فقط من القمة الجانبان الروسي والأوكراني بوساطة تركية ورعاية أممية في إسطنبول.

أما على المستوى الثلاثي، فلا يبدو أن القمة قد أضافت جديداً، وهو ما دفع البعض للقول بأن المسار قد استنفد أغراضه ووصل إلى نهايته ولم يعد ذا فائدة، وهو ما نختلف معه للأسباب المهمة التالية:

أولاً: أن الهدف الرئيس للمسار ما زال قائماً ولا يمكن الاستهانة به، وهو

التصريحات التي سبقت القمة أظهرت فجوة واضحة في المواقف من العملية التركية

ضمان عدم الصدام المباشر بين الدول الضامنة الثلاث.

ثانياً: أن الأوضاع الميدانية غير مستقرة ولا مضمونة ويمكن أن تتبدل في أي لحظة، ما سيزيد من أهمية هذا الإطار التنسيقي مستقبلاً.

ثالثاً: رغم الخلاف السياسي بين الدول الثلاث في سورية على وجه الخصوص، فإن الاقتصاد عامل مجمّع لهم، وهو حيوي ومؤثر ولا سيما في ظل الأوضاع الاقتصادية العالمية حالياً بسبب جائحة «كورونا» ثم الحرب الروسية - الأوكرانية.

رابعاً: يشكل هذا الإطار، وفي ظل الأوضاع الاقتصادية المذكورة والمعروفة في الدول الثلاث، فرصة للتبادل التجاري بالعملات المحلية، وهو أمر تسعى له كل من أنقرة وموسكو وطهران.

خامساً: تجمع الدول الثلاث علاقات سلبية في المجمل مع الغرب، وإن بدرجات متفاوتة، فروسيا في حالة حرب معه، وإيران في مفاوضات شاقة ومتذبذبة وعقوبات ما زالت قائمة، وتركيا في حالة جفاء مع من يفترض أنهم حلفاؤها التقليديون مع فجوة ثقة لا تخفى على مراقب.

ولذلك، في الختام، رغم عدم القدرة على إنجاز اختراقات مهمة في القمة الثلاثية وعدم التوافق بل الاختلاف بخصوص العملية العسكرية التركية المحتملة (بما انعكس لاحقاً وبشكل سريع في كل من العراق وسورية)، فإن الدول الثلاث ستبقى حريصة على إطار أستانا الثلاثي الذي يجمعها لما سبق ذكره من مصالح، ولذلك فهي لم تتوانَ عن تحديد القمة الثلاثية القادمة في روسيا بدعوة من «بوتين»، والتأكيد على الإعداد للجولة رقم 19 من محادثات أستانا بمشاركة مختلف الأطراف.■

الجزائر.. بين حصار التطبيع والانتصار للمقاومة

ناصر حمدادوش
برلماني جزائري سابق

قد يكون للحركة النَّشطة للتطبيع مع الكيان الصُّهيوني بالشَّكل السَّريع والمعمَّم في البلدان العربية أمر صعب، بسبب تجذُّر العلاقة المقدَّسة بين شعوب هذه الدول والقضية الفلسطينية، ولكنَّ «شياطين التطبيع» لا تيأس أبداً، فهناك محاولاتٌ محمومةٌ لاختراقات هذا التطبيع لهذه الدول بأشكالٍ مختلفةٍ ومن عدّة محاور ناعمة.

في الحالة التونسية، ومنذ مايو 1996م، كانت هناك اتصالاتٌ رسميةٌ بين النظام التونسي والكيان الصُّهيوني، التي انتهت بفتح مكاتب اتصال رسمية متبادلة، وكانت الخطوة الأكثر علانيةً وإثارةً هي حضور وزير الخارجية الصهيوني (من أصلٍ تونسي) لتونس في عام 2005م للمشاركة في «القمة العالمية حول مجتمع المعلومات» برعاية الأمم المتحدة، وقد لا تكون من الصُّدف النادرة ثباتُ بعض الوزراء في الحكومات المتعاقبة لتونس، وهم الذين تحوم حولهم شبهات التطبيع، ومنهم أطولُ وزير للخارجية عمراً منذ عام 2011م، وهو الدبلوماسي الذي كلَّفه نظام بن علي بافتتاح تمثيلية تونسية في «تل أبيب».

وكانت السِّياحة الدينية بوابةً لهذا التطبيع النَّاعم، فمع أنَّ الوجود العلني لليهود في تونس لا يتجاوز 1500 يهودي، الذين يعيش أغلبهم في جزيرة «جربة» جنوبي البلاد، حيث «معبد الغريبة» أقدم وأكبر المعابد اليهودية، الذي يحجُّ إليه آلاف اليهود من مختلف دول العالم سنوياً، ومع عدم الاعتراض على الحقوق الدينية لأهل الكتاب في ممارسة شعائرهم التعبُّدية، إلاَّ أنَّ هذه السِّياحة الدينية المتبادلة انتقلت من الحق الدِّيني إلى الاستغلال السِّياسي للتطبيع، فأصبحت أداةً ناعمةً لكسر ذلك الحاجز النفسي في العلاقة مع هذا الاحتلال الصُّهيوني الخطير.

وقد دوَّن أحدُ الصَّحفيين الصَّهاينة، وهو مستشارٌ في مكتب رئيس الوزراء الصُّهيوني الأسبق «نتنياهو»، على حسابه في «تويتر» قوله: «تحيةٌ لفخامة الرئيس قيس سعيد، شكراً للسَّماح لمئات من «الإسرائيليين» بالسَّفر إلى تونس، نحن يهمُّنا الأفعال وليس الأقوال، وخاصَّة قبل استلام الرئاسة، معذورٌ فخامته، نحن نتفهَّم الوضع، نحبُّك يا فخامة الرئيس»، وهو ما يفضح الازدواجية في الخطاب الرسمي التونسي، الذي بدأ في الحملة

السياحة الدينية أصبحت أداة ناعمة لكسر الحاجز النفسي في التطبيع مع الاحتلال الصهيوني

محاولات جرّ تونس إلى مستنقع التطبيع تهدف إلى محاصرة الجزائر بالخيانة والغدر

الانتخابية بمقولة سعيد: «التطبيع خيانة عظمى، وكلُّ مَن يتعامل مع كيانٍ محتلٍّ شرَّد شعباً كاملاً طيلة أكثر من قرنٍ من الزمن هو خائن، ويجب أن يُحاكم بتهمة الخيانة العظمى»، وانتهى بمثل هذا التوجُّه التطبيعي النَّشط.

ثمَّ كان استحقاقُ مشروع قانونٍ تجريم التطبيع مع الكيان الصُّهيوني، الذي اعتُبر بالوناً لاختبار مدى التوازنات السِّياسية في هذا الملف الحيوي والخطير، وكان لعدم التوافق عليه مع الرَّئيس سعيد صاحب الصلاحيات الدستورية الحصرية للسِّياسة الخارجية أثر كبير في عدم تمريره.

كما شكَّلت عدم الإدانة الرسمية لتطبيع بعض الدول العربية المتخاذلة مؤشِّراً آخر على هذا التوجُّه المشبوه، فقد ظهر الموقف الرسمي التونسي في مشهدٍ بائس، وكان سكوت سعيد أقوى من تلك العبارات في مقولته: «التطبيع خيانةٌ عظمى»، إذْ اعتبر أنَّ مسألة التطبيع مجرد «قرارٍ سيادي، وأنه لا يتدخّل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى»، وهو أقرب إلى التبرير منه إلى عدم التدخُّل.

ولا ننسى ذلك الحضور الصُّهيوني الخشن في تونس عبر عملياتٍ استخباراتية انتهكت سيادة وأمن تونس في محطاتٍ تاريخيةٍ قديمةٍ وحديثة، مثل: قصف مدينة حمام الشَّط عام 1985م، واغتيال القياديين الفلسطينيين أبو جهاد عام 1988م، وأبو إياد عام 1991م، واغتيال م. محمد الزواري، مهندس الطائرات بدون طيار في «كتائب عز الدِّين القسام»، يوم 15 ديسمبر 2016م، بمدينة صفاقس، ومع ذلك فإنَّ منظومة الحكم الحالية في تونس تتَّجه رأساً للانخراط المشؤوم في علاقاتٍ مع هذا الكيان الصهيوني المجرم، بما فيها المشاركة في مناورات عسكرية مشتركة معه في المغرب، وقد أكَّدت وكالات عالمية مشاركة تونس، يوم 16 يونيو 2022م، في «تدريبات الأسد الأفريقي 2022م» بالمغرب إلى جانب الكيان الصهيوني، وهو ما اعتبرته قوى سياسية ومدنية تونسية انخراطاً تونسياً في التطبيع، وحمَّلت الرئيس المسؤولية الكاملة عن ذلك، وهو ما يجعلنا في الجزائر لا نثق كثيراً في ميكيافيلية هذا الرئيس.

محاصرة الجزائر

إنَّ محاولات جرِّ تونس إلى مستنقع التطبيع يهدف -كذلك- إلى محاصرة الجزائر بالخيانة والغدر، بعد أنْ تحوَّل المغرب إلى منصةٍ للتهديد الصُّهيوني للجزائر، ومنها تصريحات وزير الخارجية الصهيوني من الدار البيضاء المغربية، في أغسطس 2021م، حيث قال: إنَّ «إسرائيل» تعبِّر عن قلقها من دور الجزائر، التي أصبحت قريبة من إيران، والتي تقف وراء الحملة الأخيرة بهدف منع «إسرائيل» من الحصول على صفة مراقب في الاتحاد الأفريقي.

ولا ننسى الحالة الليبية، حيث محاولات السَّيطرة على السُّلطة من قِبل خليفة حفتر ومَن يقف وراءه من

الدول العربية المطبِّعة، وهو الذي تربطه علاقات مفتوحة مع جهاز «الموساد» الصُّهيوني، فقد أكَّدت الصحيفة العبرية «معاريف» بأنَّ حفتر وَعَد بالانضمام إلى اتفاقيات التطبيع مع «إسرائيل» فوْرَ وصوله إلى الحكم، وأكَّدت بأنَّه أرسل ابنه (صدام حفتر) في زيارة سرية إلى «إسرائيل» لإجراء محادثاتٍ مع مسؤولين «إسرائيليين» من أجل التطبيع الكامل، في مقايضة مفضوحة بين «السُّلطة» و«التطبيع»، وإدارة مكشوفة للصِّراع الليبي به.

لقد تنبَّهت الجزائر إلى هذا الخطر الصُّهيوني، فأطلق الرَّئيس عبدالمجيد تبون صيحته المشهورة بأنَّ «طرابلس خطٌّ أحمر» عندما حاول حفتر دخولها بالقوَّة، لولا تعرُّض قواته إلى هزيمة مدوِّية بسبب التدخُّل العسكري التركي الفعَّال، وفق الاتفاق السِّيادي، في ديسمبر 2019م، مع حكومة الوفاق الوطني الشرعية المعترف بها دولياً آنذاك.

منطق السِّيادة الكاملة

لم تسلك الجزائر في مواجهة خُبث عمليات الحصار بالتطبيع مسلك الدِّفاع أو الانزواء المعهود، بل ارتقت إلى المبادرة بالهجوم وفق مبادئ الدولة الجزائرية في نصرة القضايا العادلة، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، استناداً إلى العقيدة التاريخية لها وإلى الإجماع الشَّعبي، وهي تربط بين مبدئية القضية والواقعية السياسية المنسجمة مع جوهر التحوُّلات في ميزان القوة الدولية، ومنها تطوُّر علاقات الجزائر بروسيا والصين وتركيا وإيران ومحور المقاومة الشَّعبية والرَّسمية.

فبالرَّغم من التصنيف الغربي لحركة «حماس» كمنظمة إرهابية، وبالرَّغم من

الجزائر لم تسلك في مواجهة خُبث عمليات الحصار بالتطبيع مسلك الدِّفاع أو الانزواء المعهود

التحفُّظ الكبير للجزائر من زيارة قيادة «حماس» إلى المغرب، في يونيو 2021م، بعد تطبيعه مع الكيان الصهيوني، وبالرَّغم من خطر تمدُّد موجة التطبيع في الجسم العربي والأفريقي، وعقْد اتفاقيات عسكرية وأمنية مع العدو الصُّهيوني، ومع ذلك فإنَّ الجزائر تعاملت بمنطق السِّيادة الكاملة، فوجهت «ضربة معلم» بمفاجأة من العيار الثقيل، وذلك بدعوة قيادة «حماس» للمشاركة في الاحتفالات الرَّسمية بالذكرى الـ60 لاستقلال الجزائر، وكان السَّقف عالياً في الاحتفاء بالمقاومة والانتصار لها برمزية المكان، وهو الاستعراض العسكري الأضخم في تاريخ الجزائر بمسجد الجزائر بالمحمدية، وبرمزية الزَّمان، وهو ذكرى الإنجاز التاريخي الأكبر لأعظم ثورة تحرُّرية في القرن العشرين، وبرمزية الإنسان، وهو حضور القائد المجاهد إسماعيل هنية في المنصَّة الرئاسية مع زعماء الدول والحكومات، ومع كبار المجاهدين والقيادات العليا للمؤسَّسة العسكرية، والارتقاء بقواعد البروتوكولات الرَّسمية له كعُنوانٍ للاحتضان الرَّسمي والشَّعبي للمقاومة، وهي تسمع هتافات القوات الخاصَّة للجيش الجزائري في ذلك الاستعراض القوي: «غزَّة.. قوَّة.. غزَّة.. قوَّة.. غزَّة.. قوَّة».

سموُّ هذا الانتصار للمقاومة تجسَّد كذلك في حجم ونوعية لقاءات قيادة «حماس» بمختلف القيادات العسكرية والأمنية والسِّياسية، وبمختلف الأحزاب السِّياسية ومكوِّنات شبكة المجتمع المدني، وبالشخصيات الوطنية والنشطاء في القضية الفلسطينية، وكان التتويج لذلك كلِّه هو الإنجاز الدبلوماسي في الجمع بين الرئيس محمود عباس والقائد إسماعيل هنية كخطوة رمزية في كسر الجمود وتذويب الجليد بعد القطيعة الطويلة بين هذه القيادات، وتهيئة الأجواء الإيجابية لتجسيد استحقاق المصالحة الفلسطينية وإنهاء الانقسام.■

في مسابقة شعرية أطلقتها «المجتمع» للدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم..

شاعر مصري يفوز بالمركز الأول عن قصيدته «لأنَّكَ خيرُ خلقِ اللهِ حقاً»

أطلقت مجلة «المجتمع» عبر منصاتها الرقمية، في يونيو 2022م، مسابقة شعرية للدفاع عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم تحت عنوان «إن شانئك هو الأبتر».

وجاءت المسابقة للرد على تصريحات متحدثَيْن باسم حزب «بهاراتيا جاناتا» الحاكم في الهند -الذي يتزعمه رئيس الوزراء «ناريندرا مودي»- تعرضت لمقام الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد شارك في المسابقة ما يزيد على 40 شاعراً، حيث فاز بالمركز الأول الشاعر أحمد نيناوي من جمهورية مصر العربية بقصيدته «لأنَّكَ خيرُ خلقِ اللهِ حقّاً».

وتنشر «المجتمع» في هذه السطور القصيدة الفائزة في مسابقة «إن شانئك هو الأبتر»:

مَـقَـامُـكَ لا يُـحـيـطُ بـه مَـقَـالُ ... وَقَـــدْرُكَ فـي سـمُـوٍّ لا يُـطَـالُ

وَسِـــرُّكَ كـائِـنٌ مِـنْ قَـبْـل ألَّا ... تَـكـونَ الأرضُ أرضـاً والجِـبـالُ

وَبَـعْـثُـكَ رحـمـةٌ، وهـداك نـورٌ ... ونـورُ هُـداكَ، فـيـنـا، لا يـزالُ

وَذِكْـــرُكَ يـا نـبـيَّ الله ريٌّ ... كـمَـا لـوْ أنـهُ المـاءُ الـزلالُ

وَمَـدْحُـكُ سـيِّـدي شـرفٌ عظيمٌ ... وَأنْ يَـرْقَـى المَـديحُ لـكمْ مُـحَـالُ

وَوَصـفُـكَ فـي الحـقـيـقـة مستحيلٌ ... وَسِـيَّـان: الحـقـيـقـةُ.. والخـيـالُ

بُـعِـثْـتَ مُـبَـشِّـراً بـلـسَـانِ صِـدْقٍ ... فَـهـامَ الـكَـوْنُ، واكـتَـمَـلَ الـهـلالُ

وَكَـمْ يـا سَـيِّـدي مَـرَّتْ عـصـورٌ ... وَهَـذا الـقَـدْرُ.. لـيـسَ لـهُ مـثَـالُ

وَكَـمْ فـي حُـبِّـكَ ائـتَـلـفَـتْ قـلـوبٌ ... وَكَـمْ يـا سَـيِّـدي شُـدَّتْ رِحَـالُ

رمـاكَ المـبـطـلـونَ بـغـيـرِ حَـقٍّ ... ولا مـعـنـى لِـمَـا رَسَـمُـوا وَقَـالـوا

لأنَّـكَ خَـيْـرُ خَـلْـقِ الله حَـقّـاً ... وَوَحْـدَكَ مُـعْـجِـزٌ فـيـكَ الـكَـمَـالُ

روضة علي عبدالغفار
صحفية مهتمة بالشأن الأفريقي

«فرنسا ستنزلق إلى مرتبة دول العالم الثالث، دون أفريقيا»، هكذا قال الرئيس الفرنسي الأسبق «جاك شيراك»، وهكذا أدركت باريس أنها بحاجة شديدة إلى أفريقيا، وأن هذه القارة تحمل لها فرصاً لا تستطيع أن تخسرها، وأنها مُهددة دون القارة البكر.

لكن أمام هذه النظرة التي تُقدر قيمة أفريقيا، لم تكن باريس بالذكاء الكافي لتحافظ على علاقتها مع القارة الأفريقية، ونهجها الاستعماري الذي ما انفكت عنه سيكون سبباً في اقتراب نهايتها في القارة أو تضاؤل نفوذها على الأقل، مع وجود شركاء جُدد أكثر تفهماً للقارة السمراء وأفضل تقديراً لها ولمتطلباتها.

فلماذا أصبحت فرنسا غير مُرحب بها في أفريقيا؟ وما أسباب الرفض الشعبي لها؟ وهل تتضاءل باريس أمام القوى الجديدة على الساحة الأفريقية؟ هذا ما ستتناوله «المجتمع» في هذا التقرير.

هل يتراجع الوجود الفرنسي في أفريقيا؟

يعود تاريخ الهيمنة الفرنسية على أفريقيا إلى القرن السابع عشر، عندما بدأت باريس في احتلال مناطق القارة واستغلال سكانها منذ عام 1624م، عبر إنشاء أول مراكزها التجارية في السنغال، ثم استولت الحملات العسكرية الفرنسية بعد ذلك على بعض الدول الأفريقية الأخرى إلى أن احتلت الجزائر عام 1830م، ثم تونس وأجزاء من المغرب.

وعملت فرنسا على إنشاء المراكز الثقافية والمدارس والجامعات في مختلف الدول الأفريقية، كما اعتمدت على نشر اللغة الفرنسية من خلال إنشاء منظمة الفرانكوفونية، وعقد قمتها كل عامين سواء في باريس أو في إحدى العواصم الأفريقية، بالإضافة إلى امتلاكها 5 قواعد عسكرية موزعة على عدة دول أفريقية.

ولم يمنع حصول دول أفريقيا على استقلالها من التدخل الفرنسي في شؤونها السياسية والعسكرية، من أجل إسقاط أنظمة وتنصيب أخرى موالية لها، كما تمكّنت فرنسا من الاحتفاظ بالسيطرة على الوحدة النقدية الأساسية في وسط أفريقيا وغربها المعروفة بـ«الفرنك الأفريقي»، وهو نظام تخضع بموجبه 14 دولة أفريقية للنظام المصرفي الفرنسي، من خلال اعتماد عملة موحدة مرتبطة بالعملة الفرنسية.

ومن النتائج المترتبة على ربط الفرنك الأفريقي بعملة قوية مثل «اليورو» أن تظل اقتصادات المنطقة ضعيفة وممنوعة من صياغة برامج اقتصادية وتنموية خاصة بها، كذلك فإنها مُلزمة بوضع 50% من احتياطيَّاتها الأجنبية في البنك المركزي الفرنسي، تحت سيطرة الوزير الفرنسي للرقابة المالية.

رغم تآكل نفوذ فرنسا بالقارة فإنها لا تزال تمثل جزءاً من وجدان المجتمع الأفريقي

وتدّعي فرنسا أنها نادمة على ماضيها الاستعماري، وتدعو دائماً إلى فتح صفحة جديدة مع دول القارة الأفريقية أو مستعمراتها القديمة، ويُكرر الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» أنه ينتمي إلى جيل هو ليس بجيل الاستعمار، فهل تخلّت فرنسا حقاً عن نظرتها الاستعمارية؟

في تصريح لـ«المجتمع» أكّد أستاذ العلوم السياسية بجامعة حسيبة بن بوعلي بالجزائر، د. عربي بومدين،

أن مشكلة فرنسا في علاقاتها مع مستعمراتها السابقة في أفريقيا أنها ما زالت تُدار بأدوات تقليدية، وذهنية استعمارية، معتبرة أفريقيا مجالاً فرنسياً لا يمكن اختراقه، وبالرغم من التحولات الاجتماعية والديمغرافية في أفريقيا، فإن فرنسا ما زالت تتعامل معها بمنطق عسكري.

وقال بومدين: إن فرنسا ما زالت تنظر إلى الأفارقة بأنهم غير قادرين على قيادة بلدانهم، وأنها هي المخوَّلة بهذا الدور لحمايتهم.

في السنوات الأولى التي أعقبت استقلال دول أفريقيا عن فرنسا، حافظت باريس على شبكة مكثفة من الاتصالات بنُخب وقيادات أفريقية، علاقات استهدفت حماية المصالح المشتركة، مع قليل من الاهتمام بحقوق الإنسان أو الشفافية، ولم تكن فرنسا وحدها من بين الدول العظمى التي انحدرت إلى التحالف مع أنظمة دكتاتورية، لكن علاقات باريس بتلك الأنظمة كانت تتميز بأنها وثيقة وغير مشروطة، والآن تواجه فرنسا نوعاً من الرفض غير المسبوق!

يشير د. بومدين، في حديثه، إلى مظاهر هذا التراجع الفرنسي، قائلاً: إن السلطة العسكرية الحاكمة في مالي أنهت كبرياء فرنسا عندما عطلت زيارة الرئيس «ماكرون» إلى باماكو، في ديسمبر الماضي، فضلاً عن طرد السفير الفرنسي في باماكو، وفي أفريقيا الوسطى حلّت روسيا محل فرنسا أمنياً وعسكرياً، وباتت موسكو تفرض نفسها في معادلة المصالح الإستراتيجية في أفريقيا، وكذلك السنغال، ورفض المحتجّين للوجود الفرنسي مطلع العام الماضي.

وعن أسباب هذا التراجع الفرنسي، يعتقد بومدين أن هناك أسباباً داخلية تتعلق بسياسة التخبط التي ينتهجها «ماكرون» تجاه أفريقيا، حيث يسوق للقطيعة التامة مع الهيمنة، ويمارس سياسة «أفريقيا الفرنسية»، وأضاف أن الأسباب الخارجية تتعلق بدخول لاعبين جدد للساحة الأفريقية، خاصة في منطقة الساحل وغرب أفريقيا.

ويرى أستاذ العلوم السياسية أن أفريقيا تكبر وفرنسا تتراجع؛ حيث لا يمكن لفرنسا مثلاً مزاحمة الحضور الاقتصادي الصيني في المنطقة، حيث بلغت صادرات فرنسا لأفريقيا عام 2020م نسبة 5.3% من إجمالي صادراتها العالمية، وهذا رقم ضعيف بالمقارنة مع القوى الدولية الأخرى التي باتت تفرض نفسها بأدوات جديدة خارج

بومدين:

مشكلة فرنسا مع مستعمراتها السابقة أنها تُديرها بأدوات تقليدية وذهنية استعمارية

السلطة العسكرية بمالي أنهت كبرياء فرنسا عندما عطلت زيارة «ماكرون» إلى باماكو

النظرة الفوقية الاستعمارية التي تتخذها فرنسا منهجاً في التعامل مع مستعمراتها السابقة.

رفض شعبي

وتواجه فرنسا مستوى من انعدام الترحيب الشعبي في أفريقيا، رغم أنها من أكثر القوى الدولية اهتماماً بأفريقيا ودراية بالتغيرات التي تشهدها القارة السمراء.

ويرى د. بومدين أن الرفض الشعبي لفرنسا داخل أفريقيا بات واضحاً للعيان، وهو ما لوحظ في الحركات الاحتجاجية التي شهدتها الجزائر ومالي والسنغال وأفريقيا الوسطى، مُحمّلين فرنسا وزر تخلف شعوب هذه القارة الغنية بثرواتها وطاقتها الشبابية الهائلة.

وأكّد أنه على الرغم من احتفاظ فرنسا بولاء النخب الأفريقية الحاكمة، فإن القوى والنخب الشبابية الجديدة، التي تكونت خارج الأطر الفرنسية، باتت تحمل فكراً تحررياً سيُنهي الهيمنة الفرنسية قريباً.

وأوضح بومدين أن هذا الرفض الشعبي ظهر عندما نظمت فرنسا قمة في «مونبلييه»، في أكتوبر الماضي، حين استضاف «ماكرون» شباباً وناشطين أفارقة، وتعمّد تغييب القادة والسياسيين لكسب تعاطفهم، وأنهم أحرجوا «ماكرون» بالأسئلة والانتقادات عن سياسات فرنسا التي لم تتغير رغم تغير موازين القوة.

ويرى مراقبون أن ثقة «ماكرون» في نفسه -التي يصفها البعض بالغطرسة- تعدّ أحد عوامل انحسار شعبية فرنسا، وفي هذا الصدد، اعتبر أستاذ العلوم السياسية أن ذلك كان سبباً في تراجع الدور الفرنسي في أفريقيا، لأن الإدارة الفرنسية لم تحسن التعامل مع موازين

القوة التي تشكلت في أفريقيا على مدار السنوات العشر الأخيرة.

بينما نجد لاعبين جدداً نجحوا في إغراء الأفارقة، وأفسدوا على الفرنسيين حساباتهم، مثل: الصين وروسيا وتركيا وإيران، إضافة إلى الولايات المتحدة و«إسرائيل»؛ فقد حلت روسيا مكان فرنسا كشريك أمني وعسكري في أفريقيا الوسطى ومالي عبر قوات «فاغنر»، وباتت تركيا فاعلاً أساسياً في شرق أفريقيا وفي تشاد والنيجر، ناهيك عن الحضور الاقتصادي التركي

ثورة الاتصالات كان لها دور في تأجيج مشاعر الغضب الأفريقي تجاه فرنسا

في مشاريع البنى التحتية والاستثمارات الخارجية، وبالتالي فإنّ ساحة التنافس في أفريقيا ما هي إلا استمرار للأزمات في شرق المتوسط بين فرنسا وتركيا، بحسب بومدين.

روسيا.. كابوس فرنسا

ازداد الاهتمام الروسي بأفريقيا خلال العقد الماضي، حيث أصبحت روسيا لاعباً أساسياً في الشرق الأوسط وشمال ووسط أفريقيا، ولا تُخفي فرنسا امتعاضها الشديد من الدور الروسي في أفريقيا، بل ترى فيه تأجيجاً للمشاعر العدائية تجاه باريس، وفق تعبير الرئيس الفرنسي.

وتُظهر أزمة مرتزقة «فاغنر» في مالي عمق الصراع والتأزم في علاقات موسكو وباريس؛ حيث تُعارض فرنسا نشر قوات روسية في مالي، بينما تصرُّ

باماكو، ومن ورائها موسكو، على هذا الوجود؛ الذي سيعزز النفوذ الروسي في الساحل وفي أفريقيا بشكل عام، ويربط الوجود العسكري الروسي في تشاد وليبيا بحلقة الساحل، وتصل أيادي الروس إلى مناطق المعادن والثروات الهائلة في مالي والساحل.

ورغم تنوع المداخل الروسية إلى أفريقيا سياسياً واقتصادياً، فإن الملف الأمني والعسكري يبدو الأكثر قرعاً للأبواب الأفريقية؛ حيث استطاعت قوات «فاغنر» إبرام حوالي 30 اتفاقاً أمنياً مع جيوش أفريقية متعددة، كما أن روسيا تستحوذ على 39% من الصادرات الدولية من السلاح تجاه أفريقيا.

من المستبعد إلى درجة كبيرة اعتبار النفوذ الفرنسي في مرحلة الانهيار؛ لأسباب متعددة، منها: مدى التغلغل والنفوذ الفرنسي في أفريقيا، الذي يستند إلى أكثر من قرن ونصف قرن من الاستعمار المباشر وغير المباشر، والتحكم المسيطر في مفاصل الحكم وتفاصيل الحياة في معظم دول القارة.

أيضاً خوف الأنظمة الأفريقية من فرنسا؛ حيث إن هذه الأنظمة هي أكثر من يعرف خطورة الدور الفرنسي، وما تملكه باريس من أوراق ضغط وعوامل تأزيم لن تتورع عن استخدامها وتحريكها، إضافة إلى عمق الولاء الثقافي لباريس في أفريقيا، فلا تزال باريس لدى كثير من الأفارقة نموذجاً يحتذى به؛ خصوصاً أن فرنسا جزء من خارطة وعي ووجدان المجتمع الأفريقي، سواء عبر الأنظمة السياسية أم النظم التعليمية والمسارات الثقافية، والمؤسسات الخيرية والكنائس.

ورغم كل ذلك، فإن هذا النفوذ يتآكل، ويتعرض للتوتر والتقلص شيئاً فشيئاً لأسباب متعددة، منها: إخفاق فرنسا في تدبير علاقة إيجابية مع أفريقيا؛ حيث كان الاستعلاء السياسي والاستنزاف الاقتصادي أبرز مقومات النظرة الفرنسية تجاه أفريقيا، إضافة إلى تزايد الإخفاقات الأمنية لفرنسا في أفريقيا وتمدد دائرة الإرهاب، الذي يستنزف الجيش الفرنسي، ويهدد حلفاءها التقليديين.

وشراسة المنافسة الدولية في أفريقيا، خصوصاً مع دخول لاعبين جدد، لا يملكون مصالح مشتركة مع فرنسا، بل يعتبرون نفوذها عقبة أمام تمددهم في أفريقيا، أيضاً الرحيل المتواصل لأصدقاء فرنسا؛ حيث غادر الحكم خلال العقد الماضي عدد من الرؤساء الموالين لفرنسا، أطاحت بهم ثورات أو انقلابات شعبية.

كما أن ثورة الاتصالات ووسائل التواصل الاجتماعي كان لها دور في تأجيج مشاعر الغضب تجاه فرنسا، وإيجاد نوافذ جديدة للتعبير عن هذا الغضب بعيداً عن الإعلام الرسمي الذي يتحدث غالباً بلسان فرنسي.

وختاماً، فإن هناك خريطة جديدة للقوة على الأراضي الأفريقية، تفرضها مصالح جديدة لم تنتبه لها فرنسا، وإستراتيجيات جديدة عرفت كيف تحصل على موقع لها في القارة السمراء وتكون رقماً في المعادلة، فهل نشهد انحساراً أكبر للدور الفرنسي في أفريقيا؟ أم تُغير باريس إستراتيجيتها لتدافع عن وجودها ومصالحها في القارة السمراء؟■

هرقل.. حدود القوة وانهيار الإمبراطوريات

كيف انتصر المسلمون على الإمبراطورية الرومانية؟!

د. سليمان صالح
أستاذ الإعلام - جامعة القاهرة

انتشرت الكثير من الأساطير التي تصور القوة الجسدية للإمبراطور هرقل الذي احتل مكانة متميزة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية.

وكان الصراع بين الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية قد بلغ ذروته في بداية القرن السابع للميلاد، واستطاع الفرس أن يحققوا الانتصارات المتوالية منذ عام 614م، حيث تمكن كسرى الثاني برويز من الاستيلاء على الشام، وخطط لاحتلال مصر التي كانت توفر القمح للإمبراطورية الرومانية، وهدد كسرى الإمبراطور الروماني بأنه لن يتركه حتى يجبره على أن يترك عبادة المصلوب الذي يقول عنه إله (يقصد المسيح) ويخر ساجداً للشمس، وهذا يعني أن كسرى كان يريد القضاء على المسيحية.

أدى الصراع بين الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية إلى ارتكاب الكثير من المذابح خاصة في بيت المقدس التي تعرضت للحرائق، وقام الجنود الفرس بسحب ممتلكات المسيحيين وتدمير كنائسهم خاصة كنيسة القيامة، وقاموا بسفك دماء الكثير من المسيحيين.

وجد هرقل الذي كان قد تولى الإمبراطورية عام 610م نفسه أمام خيار وحيد؛ وهو أنه يجب أن يخوض المعركة بعد أن يقوم بتعبئة قواته، ويستعين بكل المسيحيين في العالم لمواجهة الخطر الفارسي.

دراسة الصراع بين الروم والفرس توضح أن الحروب كانت تعتمد على إستراتيجية بث الرعب واستخدام القوة الغاشمة

وكان هرقل قد بدأ بطلب الصلح مع كسرى الذي رفض كل المحاولات لإقناعه بالتوقف عن غزو الأراضي التي تحتلها الإمبراطورية الرومانية، فلقد شعر أنه قادر على تحقيق هذا الهدف بعد الانتصارات السريعة التي حققها.

بدأ هرقل باستخدام الدين لتعبئة المسيحيين، وإقناع الكنائس بالتخلي عن ثرواتها وكنوزها لتمويل الحرب.

وبالرغم من معارضة الكنائس في البداية، فإن قوة الخطاب الديني لهرقل دفع الجميع إلى الاستجابة والتوحد تحت قيادة هرقل الذي قرر أن يقود الجيش بنفسه.

وتمكن هرقل من بناء قوة الإمبراطورية الرومانية، وإدارة كل مواردها، وكان للدين دوره الحاسم في تحقيق ذلك، كما أثبت أنه كان مخططاً إستراتيجياً وعقلية عسكرية متميزة، وأنه يمتلك الكثير من مؤهلات القيادة التي مكنته من تدريب جيشه على فنون جديدة للقتال مثل الرمي بالنيران وخداع العدو.

وفي عام 622م، غادر هرقل وجيشه عاصمته القسطنطينية، لكن كسرى عرف بتحركه فأرسل له رسالة وصف فيها هرقل بأنه خادمه الأحمق الحقير.

كان ذلك يعني أن غرور القوة قد أعمى بصيرة كسرى وبدأ يستهين بقوة عدوه؛ لذلك لجأ هرقل إلى استخدام إستراتيجية بث الرعب، حيث قام في طريقه بتدمير المدن وإبادة أهلها بعد أن أقنع جيشه بأنهم ينتقمون لما حدث في كنيسة القيامة.

وهذه الإستراتيجية تم استخدامها بقسوة من جانب الإمبراطوريتين، فلقد كان سلوك هرقل وجيشه لا يقل بشاعة وارتكاباً للجرائم من كسرى وجنوده.

القوة الغاشمة

دراسة تلك الجولة من الصراع بين الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية توضح أن الحروب كانت تعتمد على استخدام القوة الغاشمة وعدم التقيد بأي مبادئ أخلاقية أو إنسانية أو حضارية، وأنها كانت تقوم على الإبادة والتدمير والتخريب والانتقام والقسوة والوحشية وقتل الأسرى.

ولكن بالرغم من استخدام هرقل لقوته الغاشمة ولإستراتيجية الرعب، فإنه ظل سنوات طويلة لم يتمكن من تحقيق النصر الذي يحلم به ويخطط له.

وفي عام 627م، شن هرقل هجوماً على الجيش الفارسي وتمكن من هزيمة الإمبراطورية الفارسية، واضطر كسرى للتراجع إلى المدائن، ثم قبل ابن كسرى -الذي خلفه على العرش- أن يعرض الصلح على هرقل.

كان هذا النصر هو الذي جعل هرقل يحتل مكانة مهمة في التاريخ الروماني، وتنسب إليه سمات البطولة والقوة.

مرحلة جديدة بالتاريخ

كان ذلك النصر الذي حققه الرومان بقيادة هرقل لم يكن يتخيله أحد في ذلك الوقت، فالإمبراطورية الفارسية كانت قد احتلت الشام وجزءاً كبيراً من الأراضي التي تسيطر عليها الإمبراطورية الرومانية؛ لذلك، كانت إشارة القرآن إلى هذا النصر في بداية سورة «الروم» معجزة تؤكد أن القرآن كلام الله الذي يقول: ﴿الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

«بدر» شكلت حداً فاصلاً بين مرحلتين من التاريخ وبنت حضارة حررت البشرية من ظلم الإمبراطوريتين

الفرس والروم واجهوا جيشاً مصدر قوته الإيمان والوظيفة الحضارية والمحافظة على أخلاقيات الحرب

(5) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6) يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم).

وبعد النصر ذهب هرقل إلى القدس حيث أقام احتفالاً ضخماً رفع فيه الصليب المقدس الضخم الذي كان قد استولى عليه من الفرس.

لكن كان على هرقل أن يواجه تحدياً من نوع جديد، ففي العام نفسه الذي خرج فيه هرقل لمواجهة الفرس، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً من مكة إلى المدينة، وفي اليوم نفسه الذي حقق فيه انتصاره الحاسم على الفرس، دارت في جزيرة العرب معركة أخرى غيَّرت مسار التاريخ؛ هي معركة «بدر» التي انتصر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشركي مكة.

ومعركة «بدر» تشكل حداً فاصلاً بين مرحلتين من التاريخ، وفي المرحلة الجديدة كانت حضارة جديدة يتم بناؤها بأيدي المؤمنين الذين تمكنوا من تحرير البشرية من ظلم الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية.

وإذا كان أحد لم يكن يتخيل أن الروم سوف ينتصرون على الفرس في بضع سنين بعد هزيمتهم، فلم يكن أحد يتخيل أيضاً أن ينطلق المسلمون من صحراء العرب للقضاء على الإمبراطوريتين في بضع سنين.

لقد استمر الصراع بين الفرس والروم لأكثر من 700 عام تم خلالها إبادة الكثير من البشر وتدمير المدن وتخريب العمران، ولم يفكر أحد في الإمبراطوريتين الالتزام بأخلاقيات الحرب، أو المحافظة على

الحياة الإنسانية والحضارية.

لكن الفرس والروم واجهوا جيشاً قليل العدد والعدة لا يعتمد في المواجهة على القوة الغاشمة، ولكن مصدر قوته هو الإيمان والرسالة والوظيفة الحضارية والأهداف العليا والمحافظة على أخلاقيات الحرب، واحترام كرامة الإنسان، والحرص على دعوة الناس ونقل المعرفة لهم.

وتحليل سلوك هرقل خاصة بعد معركة «اليرموك» توضح أنه كان يدرك أن الإسلام هو الدين الحق، وأنه لا يستطيع الصمود في مواجهة المسلمين، فلقد ودع الشام بكلمات يمكن أن يفهم منها أنه يدرك أنه لن يعود لها بالرغم من أنه كان يمتلك القوة التي تتمثل في عدد الجنود والأسلحة، وكان يعلم أن الرومان قد أحاطوه بالكثير من الأساطير التي تمجد قوته وبطولته.

فهل كان يدرك أنه بالرغم من كل تلك القوة لا يستطيع الصمود أمام إيمان المسلمين؟!

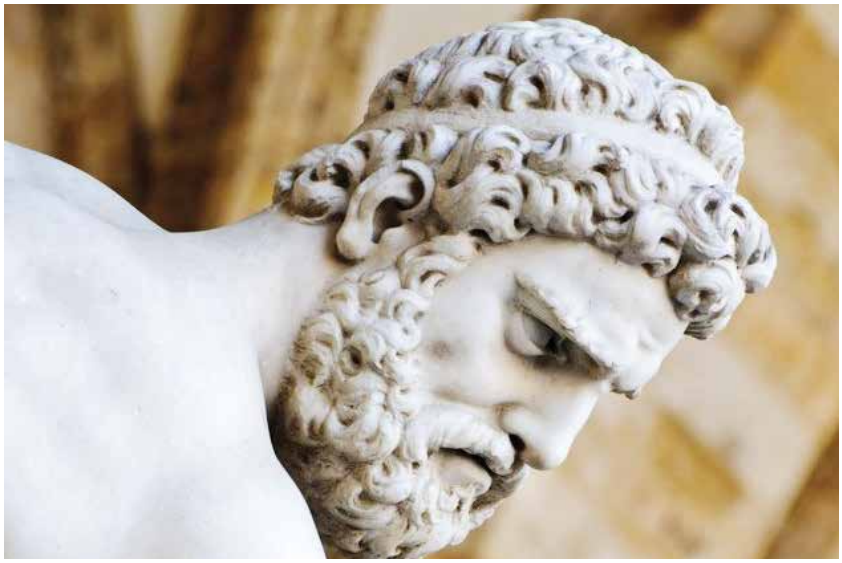

لماذا سلم بالهزيمة؟!

هناك الكثير من الأسرار التي تحتاج إلى بحث متعمق لفهمها، فهرقل كان قد خرج قبل سنوات قليلة منتصراً على الفرس، وهو لا يهتم بأخلاقيات الحرب، ومسيرته تقوم على استخدام القوة الغاشمة في الإبادة والتدمير والتخريب، فكيف يمكن أن نفسر تسليمه بالهزيمة أمام جيوش المسلمين في الشام بهذه السرعة، والانسحاب إلى القسطنطينية وتركه لباقي جيشه في مدن فلسطين، وتخليه عن قيادة ذلك الجيش مع أن المؤرخين يعتبرون أن توليه قيادة الجيش بنفسه في مواجهة الفرس من أهم أسباب النصر؟!

وهرقل يعلم أن شعراء روما كانوا يتغنون ببطولاته ويفتخرون بأمجاده، وكان الذين صاغوا هذه الأشعار هم قساوسة الكنيسة، لكن الذين كتبوا كل هذه الأشعار في بطولاته توقفوا تماماً عن ذكره، ولم يكتبوا عنه شيئاً عقب هزيمته أمام المسلمين وانسحابه من الشام، بل إنهم كتبوا يوجهون له اللوم على زواجه من ابنة أخيه، وهو ما يشكل خروجاً على الدين المسيحي، بالرغم من أن قصة زواجه قد سبقت انتصاره على الفرس، ولم يذكرها القساوسة أو يوجهوا له اللوم عليها إلا بعد هزيمته أمام المسلمين.

هناك أسرار غامضة وأسئلة تحتاج إلى إجابة، من أهمها: هل كان لدى هرقل علم من الإنجيل أو التوراة بأن محمداً هو رسول الله وخاتم المرسلين، وأن الجيش الروماني سوف ينهزم أمام المسلمين؟! لكن، لماذا أصر على مواجهة المسلمين بجيشه ودخول الحرب ضدهم إذا كان يعلم ذلك؟! هل كان هرقل يخاف من الكنيسة وكهنتها على نفسه وملكه، ولم يعلن ما يعرفه وفضَّل أن يحارب المسلمين، ثم بعد أن اتضحت له الحقيقة، وأنه صار يتعرض للهزيمة ترك قيادة الجيش لأرطبون وعاد إلى القسطنطينية وحاول أن يتجنب بقية حياته الصدام مع الجيوش الإسلامية التي انطلقت بعد ذلك إلى تحرير مصر وبلاد المغرب العربي من الاحتلال الروماني، ثم انطلقت نحو آسيا، وحاولت فتح القسطنطينية بعد ذلك؟

إننا أيضاً نستطيع أن ننفي فكرة انهيار الروح المعنوية للجيوش الرومانية في مواجهة المسلمين قياساً على سلوك هرقل في تعبئة جيشه لحرب الفرس، التي يستخدم خلالها إثارة المشاعر الدينية المسيحية.

لقد كانت قوة هرقل وبطولته حافزاً لجنوده خلال معركته مع الجيش الفارسي الذي كان يدرك أنه الأقوى عدداً وعتاداً، لكن تلك المعركة كانت بين قوتين تستخدمان السلاح في حسم الصراع، فهل أدرك هرقل أن هناك عوامل جديدة أكثر أهمية من القوة الغاشمة، وأن المسلمين انطلقوا إلى العالم ليبنوا حضارة جديدة، وينقلوا للبشرية الرسالة والمعرفة، وأنهم سينتصرون بإيمانهم وأخلاقهم ورسالتهم قبل سيوفهم؟!

سوف نحاول البحث في أعماق التاريخ عن إجابات لهذه الأسئلة، فهذه الإجابات يمكن أن تزيد فهمنا لتجربة تاريخية مهمة نحتاج إلى قراءتها بعمق لكي نبني المستقبل.■

حوار- محمد سرحان:

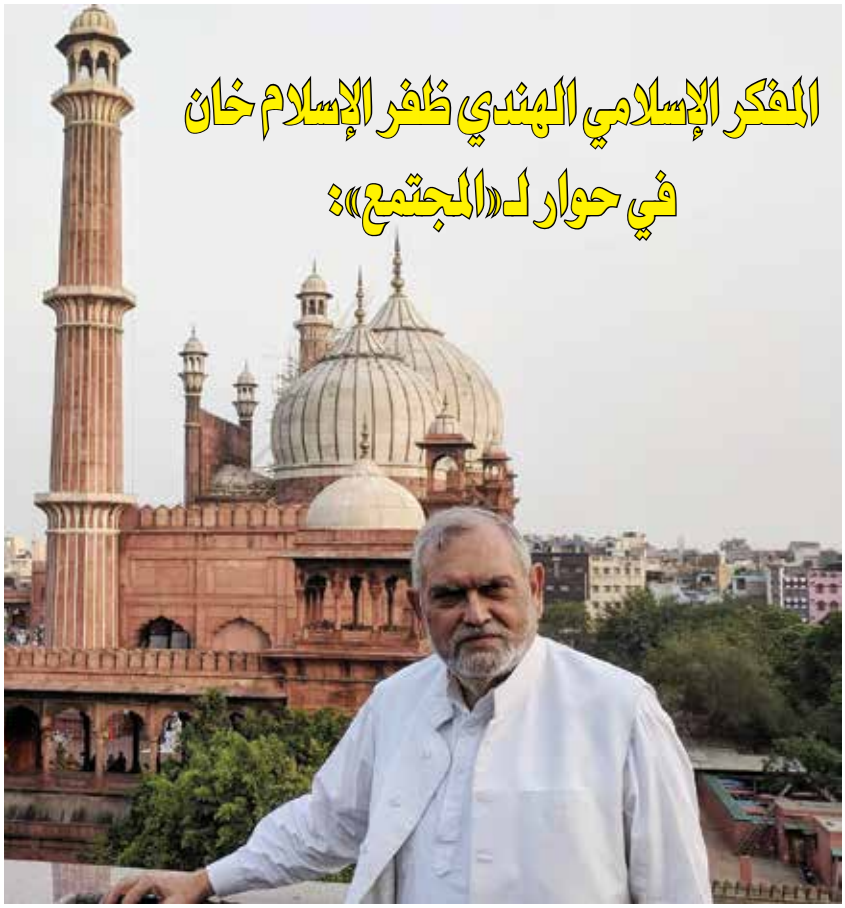

يهدمون بيتك لمجرد رفضك الإساءة لنبيك، ثم يقتادونك إلى السجون، وليس البيت وحده ضحية سياسة البلدوزر التي باتت تتبعها السلطات الهندية ضد المسلمين، بل إن بلدوزر الكراهية أشد ألماً وأعمق تأثيراً؛ حيث أصبح يجرف تاريخ المسلمين الذين حكموا هذه البلاد لقرون وبنوا حضارتها، ويحرق مساجد ومحلات المسلمين وبيوتهم.

في ظل هذا الواقع المؤلم والكراهية التي تشتد، تتضاعف معاناة المسلمين في الهند، وتسود مرارة الاضطهاد والتضييق التي تؤرق اطمئنانهم منذ سنوات، خاصة مع وصول حزب الشعب الهندي «بهاراتيا جاناتا» إلى السلطة منفرداً عام 2014م، ولفهم مناخ الكراهية ضد مسلمي الهند ودوافع ومظاهر المشروع الهندوسي المتطرف في هذه السياسة إزاء المسلمين، كان لنا هذا الحوار مع المفكر الإسلامي والكاتب الصحفي د. ظفر الإسلام خان.

بلدوزر الكراهية يجرف تاريخ مسلمي الهند ويمهد لإبادتهم

● نشاهد ازدراء للإسلام واستهداف المسلمين والتضييق عليهم، ماذا يحدث في الهند؟

– الحركة الهندوسية السياسية، التي تعرف بـ«الهِندُتْوا»، تمكنت للمرة الأولى من الحكم في الهند بإحراز الأغلبية الواضحة في البرلمان في مايو 2014م، وبدأت منذئذ في تنفيذ برامجها التي تتلخص في توحيد الهندوس تحت مظلة واحدة، وخلق تاريخ يفتخرون به، وتهميش المسلمين باعتبارهم عنصراً خارجياً؛ لأن ديانتهم نشأت خارج الهند.

وقد كانوا لا يخفون هذه البرامج في السابق، ولكن قبل اكتساحهم في الانتخابات قبل 8 سنوات كانوا قوة هامشية، بينما الأحزاب الأخرى، خصوصاً حزب المؤتمر الهندي، كان يؤمن بالعلمانية والمساواة بين كل المواطنين، ورغم وجود مشكلات ومحن كثيرة قبل مجيء الحكومة الحالية (حكومة حزب بهاراتيا جاناتا)، فإن الساحة كانت مفتوحة أمام المسلمين ليقولوا كلمتهم ويحتجوا ضد سياسات يرونها مجحفة في حقهم، وكان لهم تمثيل في مختلف الأحزاب.

هذا كله تغير الآن؛ فلا تمثيل سياسياً للمسلمين، ولا يحق لهم التظاهر، ولو فعلوا تخرج البلدوزرات لتهدم بيوتهم، لقد ضاق هامش الحرية والحركة في السنوات الثماني السابقة إلى حد مخيف؛ فالحكومة الحالية لا تعبأ بالمسلمين ولا تستمع إليهم على

عكس الحكومات السابقة.

وقد وقعت أحداث جسام في ظل الحكومة الحالية برئاسة «ناريندرا مودي» مما لم يكن ممكناً في ظل الحكومات السابقة؛ مثل قتل المسلمين على الهوية بتهمة أكل لحم البقر، أو الحرب على «الحلال» والحجاب، ومحاربة المسلمين بتهمة نشر الدين الإسلامي أو الزواج بهندوسيات.. إلخ، وأخيراً جاء البلدوزر ليهدم بيوت المسلمين لو رفعوا صوتهم وخرجوا في مظاهرات؛ ما يعني دخول الهند في عهد قانون الغاب؛ لأن هدم منازل المسلمين يتم بدون إجراءات قضائية.

● انطلاقاً من الإساءة للرسول الكريم، هل نحن أمام مشروع هندوسي يستهدف المسلمين؟

– الإساءة للرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم جزء بسيط من مشروع غلاة الهندوس الذين يريدون محو الإسلام وحظر تداول القرآن الكريم وشيطنة المسلمين ومحوهم وإبادتهم.

وهذه الأمور ليست سرّاً، بل يقولها غلاة الهندوس علانية، ويذيعون فيديوهاتهم بدون حياء أو خوف، وإن كان العالم وخصوصاً العالم الإسلامي الذي يوجد لكل بلد به سفارة في الهند، ظل يتجاهل هذه الإشارات التي تصدر منذ سنوات، وهناك آلاف من الفيديوهات المنتشرة التي يعلنون فيها هذه المزاعم.

● ما ملامح أو أركان هذا المشروع الهندوسي؟

– المشروع الهندوسي يتلخص في أنهم يريدون توحيد الهندوس المشتتين عبر عشرات من الأديان الفرعية، كما يسعون لخلق ماض وهمي ليفتخروا به، يزعمون من خلاله أن الهند القديمة كانت تتمتع بكل شيء كالطيران والصواريخ والطب.. إلخ.

ويقومون بتزييف التاريخ والكتب المدرسية لينشأ جيل جديد يؤمن بهذه الخرافات، كما يحذفون من الكتب الدراسية وكتب التاريخ ما يشيد بالحكم الإسلامي الطويل؛ لإظهار أن الحكام المسلمين كانوا ظلمة لم يفعلوا شيئاً سوى ظلم الهندوس ونهب ثرواتهم واغتصاب نسائهم!

● في كتابك «حركة القومية الهندوسية»، تحدثت عن «الهندتوا» والقومية الهندوسية كونها حركة سياسية، ما الأطراف التي تمثل مشروع هذه الحركة في الهند حالياً ودوافع كل منها؟

– حركة القومية الهندسية لها تيارات كثيرة، إلا أن التيار الأقوى والأكثر تنظيماً وتفاعلاً هو الذي توحد تحت لواء «RSS»، وهي منظمة كبيرة للغاية، بل هي مثل أخطبوط يضم مئات الأفرع ومنها حزب الشعب الهندي الذي يحكم الهند حالياً، كل هذه الفروع تعمل في مجال عملها المحدد مثل التوعية ونشر الثقافة، ونشر المطبوعات، وكتابة التاريخ، وإنشاء المدارس، ونشر الفكرة الهندوسية بين القبليين والمنبوذين، ومليشيات مسلحة لتنفيذ خطط الحركة الهندوسية وتخويف أعدائها.. إلخ.

الإساءة للرسول جزء بسيط من مشروع غلاة الهندوس الذين يريدون محو الإسلام وشيطنة المسلمين

الهندوس يحذفون من الكتب الدراسية والتاريخ ما يشيد بالحكم الإسلامي وإظهاره بالظالم

الأحزاب السياسية باستثناء الشيوعية والإسلامية الصغيرة استسلمت للتيار الهندوسي

د. ظفر الإسلام خان.. في سطور

د. ظفر الإسلام خان من أبرز الشخصيات المسلمة في الهند، وهو رئيس تحرير صحيفة «ملّي جازيت»، ورئيس مفوضية الأقليات بالهند في الفترة من عام 2017 - 2020م، ورئيس مجلس المشاورة الإسلامي لعموم الهند 3 فترات، ومؤلف ومترجم لعشرات الكتب، ولا تخفى جهوده الفكرية ودوره النضالي في مواجهة الفكر المتطرف للحركات الهندوسية، وفي مقابل ذلك يتعرض لتضييق وضغوط كبيرين، وتُسجل ضده القضايا لإرهابه وإسكاته.■

● الهند في ظل حكم حزب الشعب الهندي منذ عام 2014م، ما الذي تغير؟

– بعد مايو 2014م، بدأ حزب الشعب الهندي يحكم البلاد دون استعانة بحلفاء سياسيين كانوا يكبحون سياساته وخطواته كما حدث سابقاً حين حكم هذا الحزب خلال سنوات 1999 – 2004م، وقد تغير الأمر هذه المرة حين حاز الحزب على غالبية مقاعد البرلمان المنتخب، وبالتالي أصبح حراً في أن يفعل ما يريد، واتخاذ السياسات والإجراءات التي تخدم المشروع الهندوسي.

● أين بقية المكونات والأحزاب السياسية في الهند مما يحدث؟

– بقية المكونات أو الأحزاب السياسية، باستثناء الشيوعية والإسلامية الصغيرة، استسلمت للتيار الهندوسي، وهي تؤمن الآن بما يسمى بـ«الهندتوا الرخوة» التي تعني أن هذه الأحزاب لن تقوم بشيء أو تقول شيئاً يغضب الهندوس، فهذه الأحزاب بالتالي تساير الآن سياسات حزب الشعب الهندي، وقليلاً ما ترفع صوتها ضد سياساته إزاء المسلمين.

● ما تداعيات هذا المشروع على مسلمي الهند حتى الآن؟

– يجد مسلمو الهند أنفسهم مهمّشين، لا صوت لهم، لا أحد يستمع إليهم في الأحزاب السياسية وخصوصاً الحزب الحاكم الذي يتجاهلهم تماماً، لدرجة أنه لأول مرة في تاريخ الهند لا يوجد نائب مسلم واحد في صفوف الحزب الحاكم على مستوى البرلمان المركزي أو المجالس التشريعية بالولايات التي يحكمها هذا الحزب! لقد تم تهميش مسلمي الهند سياسياً في ظل هذه الحكومة، وهو ما كانت تريده أصلاً وتصرح به من البداية.

● ماذا يملك مسلمو الهند من أدوات في مواجهة هذا المشروع الهندوسي؟

– لم يعد أمام مسلمي الهند سوى الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، بعد أن سدّت كل الأبواب أمامهم، فحتى الاحتجاج السلمي بات الآن ممنوعاً، ولو حدث وخرج المسلمون في فعاليات احتجاج

لأول مرة لا يوجد نائب مسلم بصفوف الحزب الحاكم في البرلمان المركزي والمجالس التشريعية

لا ننتظر شيئاً من الدول العربية والإسلامية التي خذلت فلسطين والروهنجيا والإيغور

سلمية؛ تخرج البلدوزرات لتعاقبهم على تبجحهم في نظر الحكام، وتهدم بيوتهم، والشرطة والجهاز البيروقراطي لا يستمعان للمسلمين، ولم يبق أمامهم إلا اللجوء إلى المحاكم، لكن إجراءاتها باهظة التكاليف، إذ ليس باستطاعة كل مسلم توكيل محام أو دفع رسوم المحاكم، ومع ذلك قد لا يحصل على النتائج المرجوة؛ لأن كثيراً من القضاة يؤمنون أو بدؤوا يؤمنون بـ«الهندتوا» التي تعني أنه لا حقوق للمسلمين في الهند.

● بحسب ما ذكرتم، نحن أمام مشروع يستهدف تهميش المسلمين ونزع مساجدهم ومحو تاريخهم وتحويلهم إلى مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة، كيف يمكن حماية المسلمين في الهند قبل فوات الأوان؟

– في الوقت الحالي، وبعد أن أعلن غلاة الهندوس عن خطتهم لإبادة المسلمين، نتوقع معجزة، نأمل أن يفرج الله كربنا، وأيضاً أن تتدخل الدول الغربية بصورة خاصة بإجراءات عملية لأن صوتها مسموع في الهند.

● ماذا يمكن أن تقدم الدول العربية والإسلامية لحماية مسلمي الهند من هذا المخطط الهندوسي؟

– الدول العربية والإسلامية عاجزة عن تقديم شيء للمسلمين، واحتجاجاتها على النَّيْل من الرسول الأكرم أدت إلى الانتقام من مسلمي الهند؛ إذ خرجت البلدوزرات بعد كل مظاهرة احتجاج لمسلمي الهند على تجاسر زعماء الحزب الحاكم على سب رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، وأخيراً ألقي القبض على الصحفي محمد زبير بتهمة إهانة آلهة الهندوس، بينما جريمته الحقيقية في نظر الحكومة هي أنه الشخص الذي نشر إساءات بعض زعماء الحزب الهندوسي عالمياً؛ مما تسبب في إحراج كبير للحكومة الهندية، وأيضاً نلاحظ أن الدول العربية والإسلامية لم تكترث بالأمر ما دام مسلمو الهند هم المستهدفين منذ سنوات، فهي لم تتحرك إلا بعد أن وصل الأمر إلى سب الدين الإسلامي بصورة عامة، مع تقديرنا لمواقف الشعوب وبعض الدول، لكن لا ننتظر شيئاً من الدول العربية والإسلامية التي خذلت فلسطين والروهنجيا والإيغور.■

قراءة في كتاب «مقدمة ابن خلدون» (6)

الحق سلطانه أقوى من كل سلطان والباطل لا يصمد

مرحباً بقرَّاء مجلة «المجتمع» الغراء، التي نعتز بها، ونقدر دورها، ونتمنى لها استمرار إنارة الوعي الإسلامي الوسطي الرشيد.

المفكر الإسلامي
د. محمد سليم العوَّا(*)

أعدها للنشر: حسن القباني

نواصل القراءة في التمهيد الذي كتبه ابن خلدون لمقدمته، وبعد أن انتهى من الصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والترضي على صحابته، قال: «أما بعد فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال»، والسوقة في لغتنا المعاصرة تطلق على الشخص الغوغائي العامي، ولكن في المعنى القديم هم عامة الشعب الذي لم يتعلم ويتثقف، وأما الأغفال فهم الذين لا تجربة لهم وإن ظهر لك أنه موظف محترم أو حتى وزير محترم لكن لا تجربة له، فهذا «غفل»، وهو يريد أن يقول: إن هذا العلم لا يفوت أحد، فكل منا له مقصد في علم التاريخ، وهذا دليل على أهميته.

قال: «وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال»، والأقيال يعني الملك على الإطلاق، أو ملك من ملوك حمير في اليمن، وقال: «إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول، تنمق لها الأقوال وتصرف فيها الأمثال وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال»، وهنا نتوقف عند «في ظاهره» لأنها مفتاح كتابه كله وتاريخه كله، فهو يريد أن يقول: إن هناك أناساً كأمثالنا يريدون ظاهره من الحكايات والتسلية والطرائف والحكم.

قال: «وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول النطاق فيها والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق».

والحكمة عندهم هي الفلسفة وتعني التاريخ، وليس كلاماً يتلى فيتسلى الناس به، إنما هي صلب الدراسة الفلسفية للأمم والمجتمعات والدول والحضارات والقبائل والشعوب.

قال: «وجدير بأن يعد في علومها خليق، وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وَهِمُوا فيها أو ابتدعوها، وزخرف من الروايات المضعَّفة لفقوها ووضعوها»، وهموا فيها يعني من الوهم وهو عكس التيقن، أو ابتدعوها فهذا يعني الكذب والاختراع لإيجاد بدعة جديدة، ووضعها في كتب التاريخ، والروايات ذات السند الضعيف لفقوها، بوضع السند على الرواية والرواية على السند وكلاهما لا علاقة له بالآخر بغية وضعها، والوضع هو الكذب الصريح.

قال: «واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها وأدوها إلينا كما سمعوها ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب كليل، والوهم نسيب للأخبار وخليل»، والطرف هو العين، قالوا: «ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال»، والمعنى أن من طرف التنقيح هو أن قدرتهم على التدقيق كليلة جداً وضعيفة جداً، والنسيب من المصاهرة، فيريد أن يقول: إن الغلط والوهم مع الأخبار كما لو كانوا عائلة.

قال: «والتقليد عريق في الآدميين وسليل»، وتقول للشخص: لماذا تعمل كذا؟ يقول لك: والدي كان يصنع ذلك! إنه «التقليد» يقول تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: 23)، وهذا التقليد لا يجوز.

قال: «والحق لا يقاوم سلطانه، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه»، وهذه جملة مفتاح، حيث يقول: الحق سلطانه أقوى من كل سلطان ولا يستطيع أحد أن يقاوم سلطان الحق والحقيقة، أما الباطل فيقذف بشهاب النظر شيطانه، والنظر يعني الفكر والتدبر، والتأمل.

(*) هذه المقالات أصلها حلقات ترفع تباعاً على موقع «يوتيوب» على قناة باسم د. محمد سليم العوَّا، والقراءة في مقدمة ابن خلدون لا تزال مستمرة.

الناقد البصير

قال: «والناقل إنما هو يملي وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل، والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل»، وتمقل من المقلة يعني تنظر نظراً دقيقاً، فإذا نظر صاحب البصيرة في الكلام بيَّن الله له الباطل من الحق، وبيَّن له فعل الشيطان وصنعه.

قال: «هذا؛ وقد دوَّن الناس في الأخبار وأكثروا، وجمعوا تواريخ الأمم والدول في العالم وسطروه، والذين ذهبوا بفضل الشهرة والإمامة المعتبرة، واستفرغوا دواوين مَنْ قبلهم في صحفهم المتأخرة قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل ولا حركات العوامل»، والعوامل جمع عامل في النحو الذي يرفع ويخفض ويجزم ويجر، وحروف العوامل في اللغة العربية التي لها أثر نحوي، أكثر في العدد من عدد المحققين من المؤرخين.

قال: «مثل ابن إسحق والطبري وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف ابن عمر الأسدي والمسعودي، وغيرهم من المشاهير المتميزين عن الجماهير»، ثم استدرك فقال: «وإن كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز، ما هو معروف عند الأثبات، ومشهور بين الحفظة الثقات، إلا أن الكافة اختصوهم بقبول أخبارهم واقتفاء سَنَنَهم في التصنيف واتباع آثارهم، والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم، فللعمران طبائع في أحواله ترجع إليها الأخبار وتحمل عليها الروايات والآثار».

وهنا، بداية الرسالة كلها والتاريخ كله من كلمة «العمران»، فهنا أوضح طريقه وطريقته في إثبات ما يريد في كتابه وتاريخه من أحوال العمران، ويريد أن ينبه الجميع إلى أنه لا يجب القبول بكل الأحوال قبولاً عشوائياً، وأنه يجب وزنها بقوانين العمران، حيث إن قوانين الاجتماع الإنسانية فيها ما يؤكد هذا أو ما يبطل هذا، وعلى هذا الأساس يكون الاختيار.

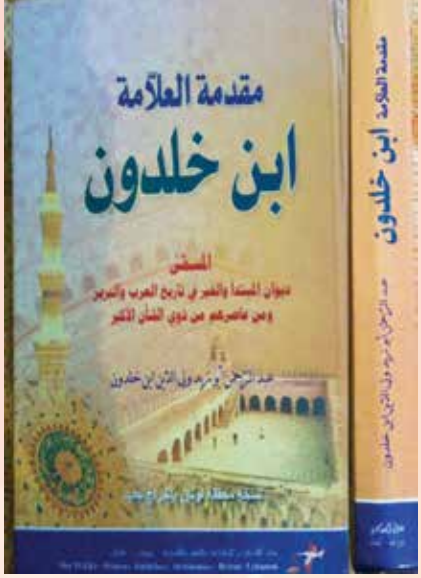

ثم قال: «ثم إن أكثر التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك لعموم الدولتين في صدر الإسلام في الآفاق والممالك وتناولها البعيد من الغايات في المآخذ والمتارك»، وفي كتابه إذا قال الدولتين وصدر الإسلام فإنه بذلك يقصد دولة الخلافة الراشدة ثم الدولتين الأموية والعباسية، أما إذا قال الدولتين فقط فهو يقصد الأموية والعباسية فقط، وعندما يقول صدر الإسلام فإنه يقصد الخلافة الراشدة أو الستة الراشدين، بضم الحسن بن علي، وعمر بن عبدالعزيز، رضوان اللهم عليهما.

قال: «ومن هؤلاء من استوعب ما قبل الملة من الدول والأمم والأمر العمم، كالمسعودي ومن نحا منحاه»، والطبري فعل هذا فبدأ التاريخ ما قبل خلق الكون، وخلق الله الكون والإنسان، قبل الدخول في التاريخ الحقيقي، وكذلك مروج الذهب للمسعودي، الذي يرجع بنا للتاريخ الذي لا أصل له وكذلك التواريخ الأخرى، فابن خلدون يريد أن يقول: إن كل من بدأ التاريخ بمثل هذه الأشياء فقد أتى بكلام مرسل لا أصل له.

قوانين العمران هي الأصل في وزن الأحوال والتواريخ

التاريخ علم يجب ألا يفوت أحد وهو دراسة فلسفية للأمم

ابن خلدون عمل على النظر في باطن الأحداث لا ظاهرها

قال: وجاء من بعدهم من عدل عن الإطلاق إلى التقييد، ووقف في العموم والإحاطة عن الشأو البعيد، فقيد شوارد عصره واستوعب أخبار أفقه وقطره، واقتصر على أحاديث دولته ومصره، كما فعل ابن حيان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية بها، وابن الرقيق مؤرخ أفريقية والدولة التي كانت بالقيروان، ثم لم يأت من بعد هؤلاء إلا مقلد وبليد الطبع والعقل أو متبلد»، والبليد هو الشخص الذي لا يفهم أو متبلد نتيجة ما مر عليه من الأشياء والمحن حتى بلدت عقله وبات لا يستوعب.

قال: «وبليد الطبع والعقل أو متبلد، ينسج على ذلك المنوال ويحتذي منه بالمثال ويذهل عما أحالته الأيام من الأحوال، واستبدلت به من عوائد الأمم والأجيال»، والعادات تتغير، والأحوال تتغير، بل استعمال اللفظ العربي الواحد يتغير، الدنيا تتغير ليل نهار؛ ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (النور: 44)، وهذا التغيير ينبغي أن يكون أول ما يلفت نظر المؤرخ، وهذا ما اعتنى به ابن خلدون، ليرصد ما حصل وما تغير من الأحوال وهو ما لا يلتفت إليه بليد العقل كما قال.

قال: «واستبدلت به من عوائد الأمم والأجيال، فيجلبون الأخبار عن الدول وحكايات الوقائع في العصور الأول، صوراً قد تجردت من موادها»، يعني صوراً تجردت من نتائجها وما جرت بسببها وما جرى عليها، ففلان حكم وكان عادلاً، وفلان حكم وكان ظالماً، لماذا كان عادلاً؟ ولماذا كان ظالما؟ وأليس هناك واقع في المجتمع أو البيئة التي أحاطت به أو في المستشارين والخلصاء والوزراء جعله ذاك ظالماً وجعل ذلك عادلاً، لا بد أن يكون هناك شيء، وهذا ما عمل عليه ابن خلدون.■

اقتصاد إسلامي

نظرات اقتصادية في سورة «البقرة» (3)

كل من يغيّر منهج الله أو يعطله فهو مفسد

د. أشرف دوابه

أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

تناولنا في الحلقة السابقة نعت الله للمنافقين في 13 آية، وذكرنا أن صفات المنافقين تمتد لكل منافق في كل عصر، وأنه قد جاء بصفاتهم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة)، كما ذكرنا أن الفساد هو خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعاً به ونقيضه الإصلاح، وأن أعداء الإسلام عمدوا سواء من خلال مذاهبهم بما فيها الاقتصادية وأذنابهم من برعوا في النفاق من بني جلدتنا لتقليد تلك المذاهب وإقرارها وجعلها نظاماً اقتصادياً للمسلمين، سواء تحت ما يسمى بالمذهب الرأسمالي أو الاشتراكي أو المختلط ونحوها، ليفسدوا في الأرض ويحاربوا منهج الله باسم الله!

وإذا قيل لأمثال هؤلاء وغيرهم ممن يفسدون في الأرض: إنكم تفسدون، كان جوابهم ليس بنفي عن أنفسهم الفساد فقط، بل بالتبجح والتبرير بأنهم لا يفسدون ولكن يصلحون، وهذا شأن المفسدين دائماً بادعائهم أنهم مصلحون في نفس إفسادهم، والله تعالى يعلم أنهم مفسدون وظاهر ألسنتهم مخالف لما تحمله قلوبهم، وموازينهم مختلة في أيديهم، فلا يمكن أن يتحقق إصلاح في عدم اتباع منهج الله سبحانه والخروج عليه بأي حجة كانت، فكل من يحاول تغيير منهج الله تعالى أو تعطيل تطبيقه فهو مفسد حتى لو كان لا يشعر بذلك، فلو كان يريد إصلاحاً لالتزم بمنهج الإصلاح الاقتصادي الرباني الذي يعلم من خلق وهو اللطيف بهم الخبير بما يصلح لهم.

برامج صندوق النقد الدولي إفساد اقتصادي وإفقار للشعوب واستعبادها بالديون

الإفساد الاقتصادي

وقد رأينا من هؤلاء من يزينون برنامج ما يسمى الإصلاح الاقتصادي لصندوق النقد الدولي، وما هو إلا برنامج للإفساد الاقتصادي والتقشف المالي الممقوت وإفقار الشعوب واستعبادها بالديون والقضاء على الحماية والعدالة الاجتماعية، فهو صورة واضحة المعالم للنفاق الاقتصادي العالمي، فالصندوق يزعم أن هدفه محاربة الفقر، ولكن في الحقيقة هو يحارب الفقراء وليس الفقر، وسياسته صورة واضحة وصارخة للفساد والإفساد والخراب الاقتصادي والاجتماعي على السواء.

وتأتي بعد الفساد في الأرض صفة أخرى للمنافقين وهي السفه، ويعني الطيش وخفة العقل وضعف الرأي، ومن لوازمه سوء التصرف، فقال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 13)، فقد نظر هؤلاء المنافقون إلى أهل الفضل من المهاجرين والأنصار على أنهم سفهاء، والسفه -وفق تفسيرهم المغلوط- في اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وما نتج عن هذا الاتباع من معاداة المهاجرين قومهم وهجرتهم ديارهم وأموالهم، ومشاركة الأنصار للمهاجرين أموالهم وديارهم؛ ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون: 7)، لذا جاء الرد الرباني قاطعاً واصفاً إياهم بالسفهاء بنظرتهم القاصرة وسلوكهم الذي لا يستند لعقل سليم أو رأي سديد، فالدعوات دونها الأموال والأهل والديار.

وقد انتقلت الآيات بعد ذكرها صفات المنافقين المتعددة لتبرز نتيجة سلوك هؤلاء المنافقين بمعنى اقتصادي مع ضرب الأمثلة الكونية لإبراز المعاني الخفية وإلحاق الأشياء المعقولة بالأشياء المحسوسة، وجعل رؤية الغائب كالمشاهد، لتكون النتيجة واضحة المعالم بتصوير قرآني فريد، فقال تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ (16) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ

مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة).

والتجارة الرابحة يكون فيها بيع السلعة بأكثر مما اشتريت به، فالربح هو الزيادة على رأس المال، والتجارة أساساً هي صناعة التاجر وهي بيع وشراء، المشتري مستهلك، والبائع قد يكون منتجاً أو وسيطاً بين المنتج والمستهلك، فالتاجر هو الذي يبيع ويشتري للربح، فإذا ربح قيل: ربحت تجارته، وإذا لم يربح على رأسماله أو خسره جزئياً أو كلياً، ففي كلتا الحالتين لم تربح تجارته، وحال المنافقين بشرائهم الضلالة بالهدى

الله تعالى وصف المنافقين بالسفهاء بنظرتهم القاصرة وسلوكهم الذي لا يستند لعقل أو رأي سديد

المنافقون قدموا الهدى ثمناً للضلال فلم يربحوا ولم يحققوا أي فائدة

واستحبابهم الغي على الرشد، نتيجته أنهم خسروا كل شيء، فلم يحققوا شيئاً له فائدة، وخسروا الهدى؛ أي الربح ورأس المال، فما ربحت تجارتهم، ربما يكونون لم يربحوا ولم يخسروا، ولكنهم قدموا الهدى ثمناً للضلال فلم يربحوا، وفي الوقت نفسه ضاع منهم الهدى؛ أي رأسمالهم.

وقد ذكر الزمخشري أن الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان؛ سلامة رأس المال والربح، وهؤلاء المنافقون قد أضاعوا الشيئين معاً، لأن رأسمالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم إلا الضلالة، وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية؛ لأن الضال خاسر ضامر، ولأنه لا يقال لم لمن يسلم رأسماله قد ربح، وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر.

وفي هذه الآية الكريمة إشارة إلى أهمية أن يتقن رجال وسيدات الأعمال المهارات اللازمة لأعمالهم والسعي لتحقيق ربح يمكن من استمرارية نشاطهم، فمن القواعد الاقتصادية المقررة للاستثمار قاعدتان؛ الأولى: لا تخسر مالك، والثانية: لا تنسَ القاعدة الأولى، كما تبدو أهمية أن يسعى رجال وسيدات الأعمال في الوقت نفسه لشراء سلعة الله تعالى الغالية؛ ألا وهي الجنة، بصدقهم وأمانتهم وإيتاء حق الله تعالى في المال الذي بين أيديهم.■

مصلحون رحلوا في أغسطس..

الهيم ورمضان والعقرب

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

إن أول مقومات بقاء الكون هو بقاء آثار الرسل وعدم انطماسها، وإنما تنطمس آثار الرسل وتنمحي بتعطيل الوسيلة الضامنة لبقائها وهم الأفراد المصلحون، الذين وصفهم رب العزة بقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: 117)؛ حيث اختصرت هذه الآية الكريمة مهمة المصلحين في الأرض؛ فوجودهم مؤشر على النجاة والفوز في الدنيا والآخرة؛ فالمصلح قد ينقذ أمة، وبوفاته تفقد الأمة أحد أسباب إنقاذها.

وجدير بنا أن نستذكر سير هؤلاء المصلحين لتبقى آثارهم في القلوب، وقد رحل في أغسطس عدد من المصلحين، نستذكر منهم:

حمد المبارك الهيم.. الداعية المحسن

في عام 1923م، ولد بالكويت الشيخ حمد بن مبارك الهيم في بيت ذي صلة بالعلم وبيئة قريبة من أهل العلم ومنازله؛ فبيتهم كان قريباً من مسجد الدماج الشهير بمسجد هلال بفريج العوازم.

كان والده يعمل في البحر، وتوفي وعمر حمد لم يتجاوز 5 سنوات؛ فتكفل به عمه مطلق الهيم، الذي أولاه رعاية طيبة؛ فدرس على يديه في مدرسة الملا بلال، ثم انتقل عند الشيخ محمد مطر الذي كانت دروسه في مسجد هلال، وقد ختم القرآن عنده، وأتقن القراءات، ثم انتقل إلى مدرسة الشيخ أحمد العدساني ليكمل تعليمه بها، كما كان يتردد على دروس الشيخ أحمد عطية الأثري امتداداً لصداقة عمه الشيخ مطلق.

التحق حمد الهيم بالمعهد الديني يوم افتتاحه وحصل على الشهادة النهائية، ثم ارتحل إلى الأزهر الشريف بمصر عام 1948م، إلا أنه لم يستمر كثيراً للظروف السياسية وحرب فلسطين، فعاد وأكمل دراسته في المعهد الديني بالكويت.

بعد تخرجه عمل في مسجد الفيني بمنطقة الحصحص إماماً وخطيباً، ثم انتقل إلى مسجد حصة اللهيب في منطقة النقرة قبل أن ينتقل إلى مسجد البدع، وكان ذلك عام 1959م، وظل في هذا المسجد إماماً وخطيباً حتى عام 1967م، بعدها انتقل إلى مسجد حمود عيد الرومي في منطقة السالمية، وظل إماماً وخطيباً وواعظاً حتى تقاعده عام 1983م.

حينما افتتح معهد الأئمة والخطباء تحت إشراف وزارة الأوقاف الكويتية كان الشيخ حمد من أوائل من التحق به ليكمل دراسته.

لم يكن الشيخ واعظاً وإماماً فحسب بل كان محسناً يتلمس المحتاجين والضعفاء فيقضي حاجتهم، فكان لا يرد من أراد أن يكتب له عقد شراء أو رسالة

لم يكن واعظاً وإماماً فحسب بل كان محسناً يتلمس المحتاجين والضعفاء فيقضي حاجتهم

أو عقد زواج أو بيع، وظل على ذلك ما يقرب من 35 عاماً، وكان خطيباً قوياً مؤثراً.

كما كان الشيخ بمثابة حمامة مسجد لا يغادره ويجد راحته بين فنائه، وهذا لم يمنعه من مشاركته الاجتماعية والاستفادة من خبراته في أوجه الحياة؛ لذلك اختير عضواً في مجلس حي منطقة السالمية ثم نائباً للرئيس فيه، وكذلك اختير عضواً في لجنة زكاة منطقة سلوى، وشارك ضمن وفد قبيلة العوازم حول الديمقراطية في الكويت، وظل عاملاً لدينه حتى وفاته في 27 أغسطس 2001م.■

خليل العقرب.. المحارب للشيوعيين بالعراق

في مدينة البصرة بالعراق، ولد خليل عبدالحميد العقرب، والتحق بمراحل التعليم حتى تخرج في دار المعلمين العالية ببغداد (كلية التربية حالياً)، وأنهى دراسته فيها عام 1954م، وعاد للبصرة للعمل في مجال التدريس والخطابة والدعوة.

يعد العقرب من الرعيل المؤسس لدعوة الإخوان المسلمين بالعراق، حيث

سعيد رمضان.. المجاهد القائد

ولد سعيد رمضان في مدينة طنطا بمحافظة الغربية بمصر، في 12 أبريل 1925م، في أسرة متدينة، ثم تخرج في الثانوية العامة بطنطا والتحق بكلية الحقوق جامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً) التي تخرج فيها عام 1946م.

رمضان من الشخصيات التي تأثرت بدعوة الإخوان المسلمين، وأثرت فيها، وتركت بصمات عظيمة منذ التحق بها وهو في المرحلة الجامعية حتى توفاه الله تعالى، فقد كان مفوهاً عظيم الحجة رغم صغر سنه حتى كثر الطلبة عليه، وأصبح يلقي الخطب والمحاضرات فيهم، وفي هذا الوقت التحق بجماعة الإخوان المسلمين وتعرف إلى حسن البنا الذي رأى فيه مشروع داعية فتعهده واختاره سكرتيره الشخصي ثم زوَّجه كبرى بناته، وحينما أصدر البنا مجلة «الشهاب» عام 1947م عهد إلى رمضان بإدارة تحريرها.

أرسله البنا في مهمة إلى فلسطين بهدف إنشاء فرع للإخوان فيها، بل إنه

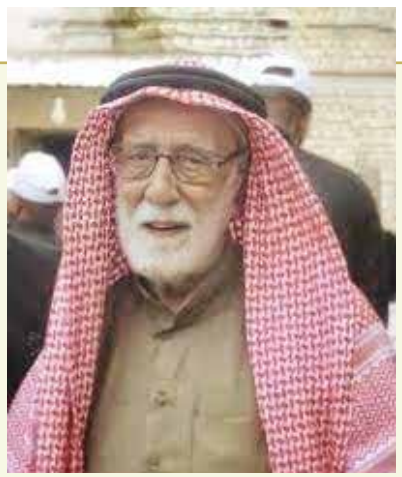

تعرف عليها من خلال زيارات وعمل الإخوان المصريين بالعراق ووصول مجلة

شارك في الدفاع عن فلسطين في حرب 1948م حتى عين حاكماً عسكرياً للقدس أثناء الحرب

شارك في الدفاع عنها في حرب 1948م حتى عين حاكماً عسكرياً للقدس أثناء الحرب بتكليف من الملك عبدالله، ملك الأردن، قبل الهدنة، وسفره للعراق هرباً من موجة الاعتقالات التي جرت في صفوف المجاهدين بمصر، ثم باكستان، ليعود لمصر عام 1950م ويصدر صحيفة «المسلمون» بالعربية والإنجليزية.

اعتمد عليه المرشد الثاني مما عرضه لاضطهاد عبدالناصر حتى اعتقله

فتح المكتبات الإسلامية وأصدر الكتيبات الدعوية لمواجهة الفكر الشيوعي في العراق

الإخوان، وذلك في الصف الأول المتوسط على يد الأخوين يعقوب الباحسين، وتوفيق الصانع.

نشط في فتح المكتبات الإسلامية وإصدار الكتيبات الدعوية؛ وذلك لمواجهة الفكر الشيوعي الذي أخذ بالتمدد والانتشار في ربوع العراق، كما تعاون مع إخوانه في إقامة المهرجانات الإسلامية والأندية الرياضية والرحلات الكشفية بإشراف أساتذتهم المصريين وتوجيهات محمد محمود الصواف.

ظل عاملاً وثابتاً في نشر الدعوة ومواجهة الغزو الفكري الخارجي حتى رحل يوم الأربعاء 3 المحرم 1443هـ/ 11 أغسطس 2021م■

في يناير 1954م، وبعد خروجه سافر للشام مع الهضيبي ولم يعد معه لمصر، واختير أميناً عاماً للمؤتمر الإسلامي حول القدس، ثم سافر لسويسرا وأسس المركز الإسلامي بجنيف عام 1961م، واستمر في إصدار مجلة «المسلمون»، ثم سرعان ما أسس عدداً من المراكز الإسلامية في العواصم الأوروبية، كما حصل على دكتوراه في القانون من جامعة كولونيا بألمانيا حول الشريعة، وظل في المهجر بسبب نزع الجنسية عنه، وفي 5 أغسطس 1995م رحل سعيد رمضان، ويعود جسده ليدفن في مصر.■

المصادر

1 - سعود الديحاني: حديث الذكريات، صحيفة الراي، العدد 11134، الجمعة 25 ديسمبر 2009م، صـ12.

2 - عبدالله العقيل: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، طـ8، دار البشير للنشر والتوزيع، طنطا، مصر، 2008م، صـ288.

3 - محسن عبدالحميد: الإخوان المسلمون في العراق (1945م – 2003م)، دار المأمون للنشر والتوزيع، 2011م.

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

استعِذ بالله من هذه الثمانية.. (الجزء الخامس)

البخل

إنه داء خطير يفر الناس من صاحبه وينتزع حبه من قلوبهم ويورث كراهيته في نفوس الكثير منهم، وقد يجعله يعيش في عزلة عمن حوله من أهل وأصحاب، فهو داء إذا تمكن من النفس أذلها، وإذا دخل القلب أفسده، وإذا صار خلقاً دائماً لصاحبه أدى لتضييع الحقوق والواجبات، وبذر الشقاق في الأسَر والمجتمعات، لذا وجب التعرف عليه والتخلص منه وعلاج أعراضه إن وُجدت.

وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم منه، وكان يطلب من الله تعالى في دعائه صباحاً ومساء أن يقيه هذا المرض، وأن يجنبه إياه، لما له من مآلات سيئة على الفرد والأسرة والمجتمع.

إنه مرض البخل الذي نهانا الله عز وجل عنه في القرآن الكريم، وذمَّ من يتصف به، وقد بلغ من خطورته أن يستعيذ منه النبي صلى الله عليه وسلم، ويطلب من الله عز وجل أن يحفظه من هذا الخلق الذميم، وكان يعلّم أصحابه ذلك أيضاً، وقد ذكره في كثير من أحاديثه الشريفة، وأكد أنه ليس من صفات أهل الإيمان، كما في قوله: «خَصلتانِ لا يجتمعانِ في مؤمنٍ: البُخل، وسوءُ الخُلُقِ» (رواه الترمذي).

كما جمع بينه وبين صفات كلها غير محمودة استعاذ بالله تعالى منها جميعاً، كما في قوله: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم والقسوة والغفلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والشرك والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والبرص والجذام وسيئ الأسقام» (رواه ابن حبان)، وكما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو: «أعوذ بك من البخل والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات» (رواه البخاري)، بل إنه صلى الله عليه وسلم جعله عيباً قبيحاً فيمن يتصف به، فقال: «وأيُّ داءٍ أدوَى من البُخلِ» (أخرجه البخاري في الأدب المفرد).

الإسلام يرفض البخل

إن دين الإسلام دين كرم وبذل وجود وعطاء، وإيثار ومواساة وحب، وقد دعانا إلى هذا كله، ولا يكون ذلك أو بعضه مع البخل.

وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم اهدني لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وقني سيئ الأعمال وسيئ الأخلاق لا يقي سيئها إلا أنت» (رواه النسائي)، وقدم لنا من نفسه خير قدوة، فلم يكن ممسكاً بخيلاً، بل جعله الله تعالى أجود الناس وأعظمهم عطاء وإيثاراً، كما قال صلى الله عليه وسلم: «ويَأْبى اللهُ لِيَ البُخْلَ» (رواه الحاكم).

وقد قدمت زوجه خديجة رضي الله عنها خير مثال في البذل والعطاء والإنفاق بسخاء ليبلغ النبي صلى الله عليه وسلم رسالته؛ فكان مما قاله عنها: «وواسَتْني بمالِها إذ حرَمَني الناسُ» (رواه أحمد)، وكذلك كان أبو بكر رضي الله عنه يعطي ولا يبخل، وقد أنزل فيه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ

داء خطير إذا تمكن من النفس أذلها وإذا دخل القلب أفسده

أسوأ البخل أن يبخل الإنسان بالنفقة على نفسه بما يصلحها وعلى مَن وجبت عليه النفقة

لِلْيُسْرَى﴾ (الليل)، فقد صدق بـ«لا إله إلا الله»، وصدق بعظيم ثوابه في جنته، وصدّق بالخلَف من الله أنه سيخلف عليه ويعوضه خيراً مما أنفقه، كما أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا بخلاء، فقد تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم الجود والكرم.

أما الأنصار رضي الله عنهم فقد ضربوا أروع مثال للمؤمنين في الإيثار الذي خلد الله تعالى به ذكرهم في القرآن الكريم، ورضي عنهم وأرضاهم، فوصفهم سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: 9)، فنبذوا كل أنواع البخل، فتعدى إيثارهم للمهاجرين من إنفاق المال إلى إيوائهم في بيوتهم ومشاركتهم أعمالهم، وإظهار الحب في الله لهم ودعمهم نفسياً في غربتهم

النبي قدم لنا من نفسه خير قدوة فكان أجود الناس وأعظمهم عطاء وإيثاراً

وهجرتهم بالمؤاخاة الفريدة التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم بها فيما بينهم.

أسوأ البخل

إن من أسوأ البخل أن يبخل الإنسان بالنفقة على نفسه بما يصلحها، والنفقة على مَن وجبت عليه النفقة لهم من والدين وأقربين، وزوج وأولاد، فيحاسَب على تضييع حقوق الغير، ويحرم نفسه الأجر الذي بشره به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «ولَسْتَ بنَافِقٍ نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا آجَرك الله بها حتى اللقمة تجعلها في فِي امرأتك» (رواه البخاري)، وقد ضرب الله عز وجل مثلاً نهى فيه عن الإمساك والبخل، وعن الإسراف والبذخ، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾ (الإسراء: 29)، فالمسلم يؤدي ما عليه، ويتوسط في نفقته.

فلينفق المؤمن مما أعطاه الله امتثالاً لأمره فقد دعانا للنفقة فقال: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد: 7)، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(التغابن: 16)، وذكر أهل الإنفاق ومدحهم وبشرهم بما يسرهم، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 274).

ورغبنا النبي صلى الله عليه وسلم في العطاء فقال: «ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» (رواه البخاري)، وحثنا على المواساة مما عندنا فقال: «من كان معه فضل ظهر فليعُد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له» (رواه مسلم)، ودعا النساء أيضاً إلى الصدقة فقال: «تَصَدَّقْنَ، يا معشر النساء، ولو من حُلِيِّكُنَّ» (رواه مسلم)، وقال: «يا عائشةُ استتري من النَّار ولو بشقِّ تمرة فإنها تسدُّ من الجائع مَسدَّها من الشَّبعان» (رواه أحمد)، وقَالَ: «قال الله: أنْفِقْ يا ابن آدم أُنفق عليك» (رواه البخاري).

المال الصالح

قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (الكهف: 46)، وقد فطر الإنسان على حب المال، وهذا الحب لا يرتبط بعمر معين، كما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يَكْبَرُ ابنُ آدَمَ ويَكْبَرُ معهُ اثْنَانِ: حُبُّ المَالِ، وطُولُ العُمُرِ» (رواه البخاري).

وقد اختبر الله تعالى صاحب المال في ماله لينظر فيه هل يكسبه من حلال وهل ينفقه فيما يرضي الله، فهو عنه مسؤول، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يسألَ عن عمرِهِ فيما أفناهُ، وعن علمِه فيمَ فعلَ، وعن مالِه من أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَهُ، وعن جسمِه فيمَ أبلاهُ» (رواه الترمذي)، فالمال زينة ونعمة ذكر لنا النبي صلى الله عليه وسلم الضابط لامتلاكه فقال: «نعم المالُ الصَّالحُ مع الرَّجلِ الصَّالحِ» (أخرجه ابن حبان).

أما إذا أمسك الإنسان المال وظن أنه له وحده، ولم يؤد به ما عليه من حقوق، ولم يرقّ قلبه أمام مسكين أو فقير أو يتيم أو أرملة، وترك المواساة ببعضه لسائل أو لمحروم أو عار أو جائع، فقد أصيب بداء البخل، وعليه أن يسارع ويعالج نفسه بجرعات من النفقة والعطاء، ويستعيذ بالله من هذا البخل.■

الإجابة لفضيلة الدكتور عجيل النشمي حفظه الله

عضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي والمجمع الفقهي الإسلامي
رابطة العالم الإسلامي - حالياً

إعداد- د. أحمد ناجي:

ركوب المرأة مع السائق

● هل يجوز أن تذهب المرأة بالسيارة مع السائق للعمل أو لقضاء الحاجات دون محرم؟ وهل يختلف الوضع إذا كان السائق مسلماً أو من ديانة أخرى؟

- لا يُلجأ إلى تشغيل سائق للبيت إلا عند الحاجة الشديدة لما يترتب عليه من دخول رجل أجنبي في البيت، وفي هذا من المفاسد ما لا يخفى، فإذا دعت الحاجة وخرجت معه المرأة، فإن كانت الأماكن التي تذهب إليها داخل المدينة أو المناطق السكنية فلا يعتبر ذلك خلوة لانشغال الشوارع بالسيارات والمارة، ويتشدد في ذلك بالخروج ليلاً، وأما الذهاب إلى الأماكن البعيدة التي يحتمل فيها انقطاعها عن السيارات والمارة فهي في حكم الخلوة، فلا تجوز إلا مع محرم أو جمع من النسوة سداً للذريعة وبعداً عن الشبهات.

وصيتان للمتوفى

● توفي والدنا وتبين لنا أنه كتب وصيتين؛ وصية بالثلث لعمل الخيرات، ووصية بالثلث لبعض الأقرباء من غير الورثة، فما العمل؟

- هذا ما يسمى بتزاحم الوصايا، فتتعدد الوصايا، ولا يسعها الثلث ما لم يجز الورثة ما زاد على الثلث، وفي محل السؤال، وصيتان كل واحدة بالثلث، الأولى في الخيرات، والثانية للأقرباء من غير الورثة، فيوزع الثلث عليهم بالسوية، وذلك لأن الموصي لم يبين سهم كل منهما، ولو بيَّن فإن الثلث يوزع بنسبة السهام التي ذكرها الموصي.

دعاء الأم على أولادها

● سيدة تقول: إن كثيراً من النساء إذا غضبن من أولادهن يدعون عليهم، فهل يجوز ذلك؟ وهل هذا يضرهم؟

- لا يجوز للمسلمة أو المسلم أن يدعو على الأبناء أو حتى على أنفسهم، وقد يضرهم هذا فقد يوافق ساعة إجابة؛ ولذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تدْعوا على أنفسكم، ولا تدْعوا على أولادِكم، ولا تدْعوا على خَدَمِكم، ولا تدْعوا على أموالِكم، لا تُوافقوا من اللهِ ساعةَ نيْلٍ فيها عطاءٌ فيُستجابَ لكم»[1].

تشميت الرجل للمرأة

● هل يجوز للرجل إذا عطست المرأة في مكان ما ولم يشمتها أحد أن يشمتها؟ وهل يجوز لها أن تشمت الرجال؟

- يفرق بعض الفقهاء -وهم المالكية والحنابلة- بين تشميت المرأة الشابة فلا يجوز تشميتها ولا يجوز لها أن تشمت غيرها؛ وذلك خشية الافتتان، أما إذا كانت المرأة عجوزاً ولا تميل إليها النفس فإنها تُشمِّت وتُشمَّت.

والذي نراه -والله أعلم- جواز ذلك، إذ لم يثبت دليل يثبت التفرقة، وقياساً على صوت المرأة؛ فإنه ليس عورة لذاته وخاصة إذا كان التشميت لغرض حصول الأجر، وهو من التآلف الذي حث عليه الإسلام ومن حقوق المسلم على المسلم.

هذا هو الحكم الأصلي وهو الجواز، فإن كان تشميت الرجل لهذه الفتاة بداخله غرض، كأن يستنطقها ويفتح معها حواراً له منه غرض أو أي أمر آخر في نفسه فيكره ذلك.

لعن الكفار والفساق

● هل يجوز أن نلعن شخصاً نعرفه من النصارى أو من اليهود، والذي لعنه يقول: هذا فاسق ملعون؟ وهل يجوز أن نلعن الحيوانات كالبعير والحصان؟

- جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والحنابلة على عدم جواز لعن الكافر المعين إذا كان حياً؛ لأنك لا تدري على أي دين يموت، وقد شرط الله تعالى إطلاق اللعن لمن مات كافراً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (البقرة: 161)، لكن من مات على الكفر، أو إطلاق اللعن على الكفار دون تعيين أحد بذاته فهذا جائز على الكافر والمسلم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة، ولعن آكل الربا، ولعن قبائل من العرب وهم: رعل، وذكوان، ولعن اليهود والنصارى، ولا يجوز أيضاً لعن الحيوان، لما ورد أن امرأة من الأنصار على ناقة في سفر، فضجرت فلعنتها،

فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «خذوا ما عليها، ودعوها فإنها ملعونة»[2]، قال عمران بن حصين رضي الله عنه راوي الحديث فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد.

وفي رواية عند الحنابلة وهو قول ابن العربي من المالكية وفي قول عند الشافعية أنه يجوز لعن الكافر المعين.

وأما المسلم الفاسق المعين فلا يجوز لعنه عند الجمهور من الحنفية والشافعية والحنابلة؛ لما ورد أنه لما أتي النبي بشارب خمر مراراً فقال بعض من حضر: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلَّا أنَّه يحبُّ الله ورسوله»[3].

وفي قول عند الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة أنه يجوز لعن الفاسق المعين؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاة الفجر: «اللَّهمَّ الْعَنْ فُلاناً وفُلاناً لأحياء من العرب».

تدخين الزوج وتضرر الزوجة

● زوجة تتأذى من تدخين زوجها للسجائر، وهي تكره رائحتها، وزوجها يرفض ترك هذه العادة، فما حكم الشرع في هذا الأمر؟

– مما لا شك فيه أن رائحة السجائر كريهة بغض النظر عن حكمها، وهو في الجملة بين الكراهة والحرمة، وقد طلب الشرع من الزوجين العشرة بالمعروف، فقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: 19)، وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: 228)، ومعنى العشرة بالمعروف هنا هي التزام كل منهما بإعطاء الطرف الآخر كامل حقه من الواجبات، وما دونها مما فيه كمال حسن العشرة، ومن حسن العشرة ترك الزوج كل ما فيه إيذاء الزوجة من مثل الغلظة في الكلام، والعبوس في وجهها، وإهانتها، وله عليها مثل ذلك، ولا شك أن الدخان فيه ضرر على الزوجين، وأخف ضرره على الزوجة إيذاء الزوج لها برائحته، مما قد يؤثر في كمال الاستمتاع بينهما، والاستمتاع مقصد شرعي، وحق لهما لا للزوج وحده.

ولو كانت الزوجة تشرب الدخان لكان له منعها منه للضرر وللتأذي به، فهو أبلغ في المنع مما ذكر من الروائح، وإذا كان هذا حقاً للزوج ويلزمها طاعة أمره في ذلك، فهو حق لها لحسن العشرة، فتطلب منه أن يمتنع عن إيذائها بدخان ورائحة السجائر، وحسن العشرة مندوب إليه ومستحب، كما ذهب إليه الحنفية والحنابلة، أو واجب ديانة لا قضاء كما ذهب إليه المالكية.

وعلى هذا نقول: من حق الزوجة أن تطالب زوجها أن يترك تناول الدخان لئلا يؤذيها بدخانه ورائحته، ولئلا يلحق بها الضرر المحتمل، فإن قرر الطبيب المختص أن الدخان يضر هذه الزوجة لظرف صحي خاص بها، فيلزم الزوج الامتناع حينئذ، ويأثم إن لم يفعل وأصر رغم ضرره للزوجة، وللزوجة أن تمتنع عن زوجها لهذا السبب.. ولو طلبت الزوجة التطليق من القاضي وحكم لها بالطلاق للضرر بعد أن يعذر الزوج ويطلب منه الامتناع عن الإضرار بها لم يبعد عن الصواب، وصح حكمه، هذا على القول بكراهة التدخين، وإن قلنا هو حرام، فيلزم الزوج الامتناع على كل حال.

شرب الخمر مستتراً

● ما الحكم الشرعي في رجل يعرف أن رجلاً آخر شرب الخمر في بيته وأتى بعض المنكرات ولكنه يحرص على ألا يراه أحد، ويتخفى في بيته، فما التصرف الشرعي؟ هل يبلغ عنه السلطات؟ هل يتكلم عنه في الديوانيات التي يذهب إليها؟ أم ماذا يفعل؟

– اتفق العلماء على أن من يشرب الخمر أو يزني أو يأتي أي منكر متخفياً غير مجاهر فيندب ستره ولا يجوز أن يكشف أمره لمن يعرف أو لمن لا يعرف، سواء السلطات أو زملاؤه أو أهله، فقد ورد في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»، وفي رواية: «ستره الله في الدنيا والآخرة»[4]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً: «من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته»[5]، والسبب في هذا أن كشف ذلك وإشاعته والتحدث به فيه إشاعة للفاحشة، وربما كان ذلك سبباً في تمادي العاصي بعصيانه، بل طريق العلاج هو نصح هذا العاصي وتذكيره بعقوبة الله وغضبه.

وينبغي أن ننبه حقاً إلى أن هذا الحكم وهو الستر يُستثنى منه حالتان مهمتان؛ الأولى: أن يجاهر بالمعصية، وأن يكون هذا الشخص معروفاً بفسقه وعصيانه وعدم مبالاته وعدم اهتمامه بما يوصف به أو يقال عنه؛ فهذا يندب أن يكشف أمره ويحذر الناس منه اتقاء لشره، وينبغي رفع أمره إلى ولي الأمر وإلى السلطات المعنية لتوقفه عند حده وتوقع به ما يستحقه من العقوبة، الثانية: أن يكون فعل المعصية الذي ينبغي ستره قد تم في الماضي وعلمه من علمه، ولا ينسحب حكم الستر على الفعل الحاضر، فمن علم شخصاً يرتكب فعلاً منكراً ومعصية ويتيقن من ذلك فيجب منع هذا الشخص من ارتكاب المنكر ورفع الأمر إلى ولي الأمر.■

الهوامش

(1) أخرجه البخاري 293/6، ومسلم 1231/3.

(2) أخرجه مسلم: 2004/4

(3) رواه البخاري (6780).

(4) البخاري 97/5، ومسلم 1996/4.

(5) ابن ماجه 850/2.

مقال

د. أحمد عيسى
ماجستير في الدراسات الإسلامية

كيف نحقق خشوع القلب في الصلاة؟

أشعر أن قلبي وقع في شبكات الدنيا الفانية، ومتاهات الحياة المادية، وتسارعات العالم المتصادم الصاخب؛ فعليه أن يتوقف! ليس بنبضه، ولكن بما يشغله ويملؤه، ليفر من هذا الاضطراب المحموم، إلى لحظات سكينة وطمأنينة، لعله يجدها في خشوع الصلاة، ولكن كيف أحقق ذلك؟

إن الصلاة عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات وغرة الطاعات، وفي الحديث عن معاذ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبرُكَ برَأسِ الأمرِ كلِّه وعمودِه، وذروةِ سَنامِه؟»، قلتُ: بلى يا رسولَ اللَّهِ، قالَ: «رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُهُ الصَّلاةُ، وذروةُ سَنامِهِ الجِهادُ» (رواه الترمذي، صحيح)، والأمر هو الدين، ورأسه الشهادتان، وعموده الصلاة، أي كعماد البيت الذي لا يقوم إلا به.

عن عثمان رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله» (رواه مسلم).

وفي «المصباح المنير»: خشع خشوعاً إذا خضع، وخشع في صلاته ودعائه: أقبل بقلبه على ذلك، وهو مأخوذ من خشعت الأرض إذا سكنت واطمأنت، وفي «المدارج»: الخشوع هو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل، وقال ابن رجب: أصل الخشوع لين القلب، ورقته وسكونه، وخضوعه، وانكساره، وحرقته، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء، لأنها تابعة له.

يقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون)؛ الذين هم في صَلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون، وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها. (تفسير الطبري).

يقول السعدي: والخشوع في الصلاة هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضراً لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدباً بين يدي ربه، مستحضراً جميع ما يقوله ويفعله، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار الردية، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة مثاباً عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها.

وقال ابن كثير: والخشوع في الصلاة إنما يحصل بمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرة عين، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، في الحديث في النسائي بسند صحيح: «حُبب إليَّ الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة»، وقال صلى الله عليه وسلم: «يا بلالُ أقم الصلاةَ، أرِحْنا بها» (رواه أبو داود، صحيح).

وكأن دخوله فيها هو الراحة من تعب الدنيا ومشاغلها؛ لما فيها من مناجاة لله تعالى وراحة للروح والقلب، وطلب الراحة في الصَّلاة يصدرَ ممن كان خاشعاً فيها ومحباً لها.

المعاني القلبية التي تتم بها حياة الصلاة:

جاء في «إحياء علوم الدين» (باختصار وتصرف): اعلم أن هذه المعاني تكثر العبارات عنها، ولكن يجمعها 6 كلمات، وهي: حضور القلب، والتفهم، والتعظيم، والهيبة، والرجاء، والحياء.

1 - حضور القلب:

وهو أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به، فيكون العلم بالفعل والقول مقروناً بهما، ولا يكون الفكر جائلاً في غيرهما، ومهما انصرف عن الفكر في غير ما هو فيه، وكان في قلبه ذكر لما هو فيه، ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء، فقد حصل حضور القلب.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق:

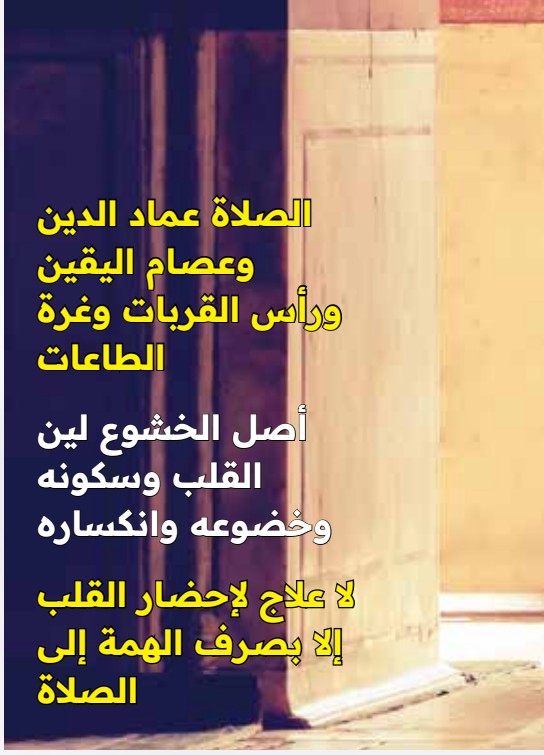

الصلاة عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات وغرة الطاعات

أصل الخشوع لين القلب وسكونه وخضوعه وانكساره

لا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة

37)؛ أي: قلب عظيم حي، ذكي، زكي، فهذا إذا ورد عليه شيء من آيات الله تعالى، تذكر بها، وانتفع، فارتفع، وكذلك من ألقى سمعه إلى آيات الله سبحانه، واستمعها استماعاً يسترشد به، وقلبه شهيد أي: حاضر، فهذا له أيضاً ذكرى وموعظة، وشفاء وهدى. (تفسير السعدي).

وسبب حضور القلب الهمة: فإن قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهمك ومهما أهمك أمر، حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه، والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلاً، بل جائلاً فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا، فلا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة، والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها، وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى، وأن الصلاة وسيلة إليها، فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا، حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة، وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك، فإذا كان لا يحضر القلب عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر، فلا تظنن أن له سبباً سوى فتور الإيمان، فلنجتهد في تقوية الإيمان.

2 - التفهم:

التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ، فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أريد بالتفهم، وهذا مقام يتفاوت الناس فيه، إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات، وكم من معانٍ لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله، ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فإنها تفهم أموراً عن ذلك.

وسبب التفهم بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى، وعلاجه إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر، وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها بالنزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها، وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر، فمن أحب شيئاً أكثر ذكره، فذكر المحبوب يملأ القلب، لذلك ترى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر.

3 - التعظيم:

هو أمر وراء حضور القلب والفهم؛ إذ الرجل يخاطب الآخر بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه، ولا يكون معظماً له، فالتعظيم زائد عليهما.

وهو حالة للقلب تتولد من معرفتين؛ إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته، وهو من أصول الإيمان، فإن من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه، والثانية معرفة حقارة النفس وكونها عبداً مسخراً مربوباً؛ فيتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم، وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله تعالى لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع، فإن المستغني عن غيره، الآمن على نفسه، يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة، ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله، لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه.

4 - الهيبة:

وهي زائدة على التعظيم، بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم؛ لأن من لا يخاف لا يسمى هائباً، فالخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة، والهيبة خوف مصدرها الإجلال.

وهي حالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه، وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة، وكلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة.

5 - الرجاء:

لا شك أنه زائد عما سبق، فكم من معظم ملكاً من الملوك يهابه أو يخاف سطوته، ولكن لا يرجو مثوبته، والمسلم ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله عز وجل، كما أنه خائف بتقصيره عقابه.

وسبب الرجاء معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة.

6 - الحياء:

مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب، وسببه استشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل، ويقوي ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها، وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها، مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل، والعلم بأنه مطلع على السر وخطرات القلب، وإن دقت وخفيت، وهذه المعارف إذا حصلت يقيناً انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء.

ما أحوجنا لتحقيق هذه المعاني القلبية ليتحقق لنا الخشوع، وسط ضجيج الحياة المادية وتسارعها، ومشاغل الدنيا وهمومها.■

مقال

طلال مساعد العامر
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

سيرة «الأنا» في «أنا» العقاد (2 - 2)

أساتذة العقاد وتجربة العمى الطارئ

هل يُعقل أن كاتباً مثل العقاد لديه كل هذه المهارات وليس له أساتذة أو معلمون أو ملهمون؟

نستكمل في هذه الحلقة الحديث الذي بدأناه في الحلقة السابقة حول نرجسية العقاد أو ما أسميناه «سيرة الأنا في أنا العقاد».

تطل نرجسية العقاد من برج آخر، حين يظهر بأنه نسيج وحده وفريد دهره، حيث إنك بالكاد تحفل باسم واحد لأساتذة العقاد، حتى إنك لتتساءل: هل يعقل أن كاتباً مثل العقاد لديه كل هذه المهارات التي لا يفتأ في سيرته يحدثنا عنها، وأيضاً لديه هذا الثراء الفكري والتنوع الثقافي ليس له أساتذة أو معلمون أو ملهمون أو حتى زملاء، نفخوا فيه روح الطلب أو صقلوا فيه هذه المواهب، أو علموه ما لم يكن يعلم؟

لكنها، في تصوري، الأنا التي ربما -دون شعور الكاتب- لا تسمح بظهور أحد سواها في مسرح السيرة الذاتية.

بل إن ترجمته الذاتية هذه لا تحفل بالعلاقات الاجتماعية؛ حيث يظهر فيها مترفعاً عن الناس، يأنس بالبعد عنهم والخلوة بنفسه، حدياً في علاقاته؛ فإما أن يحب وإما أن يكره، لا توسط لديه، يقول عن نفسه: ويغلب على المنطوين أنهم لا يألفون الناس بسهولة، وأعترف بأنني واحد من المنطوين في هذه الخصلة.

فهو يعترف أنه مطبوع على الانطواء، لكن تأمل في اعترافه هذا: «إنني مطبوع على الانطواء، وإنني مع هذا خالٍ -بحمد الله- من العقد النفسية الشائعة بين الأكثرين من أندادي في السن ونظرائي في العمل وشركائي في العصر الذي نعيش فيه».

فانطواؤه -بزعمه- لم يكن دلالة على علة نفسية؛ بل إنه يتمتع بالسلامة النفسية، إذ باستطاعته أن يفضي بأي حديث وقتما يشاء ولم يكن انطواؤه هذا حائلاً له عن ذلك، لكنه في الوقت الذي يتبرأ فيه من الانطواء المرضي يرجم نظراءه وأنداده وشركاءه بالعقد النفسية والمعاناة من الأسرار المكبوتة والخوف المرضي من البوح، وإيثار السكوت خشية الكلام؛ فهو أيضاً يعترف أنه لا يعرف التوسط في العلاقات الاجتماعية بين الحب والكراهية، ولا يريد أن يعرفه وشعاره قول الصولي: «واربأ بنفسك أن ترى إلا عدواً أو صديقاً».

حب مفرط للذات لا يدع مجالاً لمخالف أو لمخطئ؛ فهو وإن كان يتعلل لمنحاه هذا بالعلل؛ فإن القرائن السابقة على هذا الافتراض تذهب بالعلل كل مذهب، ثم إنه مخالف لآراء كثير من العقلاء والحكماء، الذي يتمثل في شعرة معاوية، وفي قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أحب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»، أما الرعونة في العلاقات وإقامة السدود فيها حيناً فهو ليس من مذهب الأسوياء بله الحكماء، والغريب أنه برر مسلكه المتطرف هذا بسلامة علاقاته من المنافع الشخصية، ويزعم أن الدافع إلى المرونة في العلاقات مع الناس والتوسط بين الحب والكراهية هو ما يترقبه الناس من هذه المنافع؛ فهو يستدل على سلامة مسلكه بفساد مسلك المخالف، وهل تبور الحجج إلا بمثل هذه المغالطات؟!

وقد التمس سبباً قد يكون وجيهاً لهذه العزلة، يعود إلى زمن صباه، فحفر حفرة عميقة الغور للوصول إلى المبرر المقنع والسبب الوجيه لإيثاره اعتزال الناس؛ حيث أرجعها إلى وباء انتشر في مدينة أسوان وهو دون السابعة، وقد خلت المدينة حينها من أهلها، واعتزل الناس بعضهم وحجروا أنفسهم في بيوتهم خوفاً من العدوى[1].

ولا أدري ما مدى وجاهة هذا السبب في حبه للعزلة، ولا أدري أيضاً ما حال باقي الناس؟ هل جرى عليهم ما جرى عليه من حب العزلة أم لا؟ لكن لا يخلو ما ذكره من طرافة؛ حيث إنه إن صدق فيما قال فلنا أن نتساءل: ما حالنا بعد عامي الحظر والحجر في ظل وباء «كورونا»؟ وما الآثار النفسية المرتقبة جراء التباعد الاجتماعي الذي قد يحصد ملايين الملايين من الأرواح والعلاقات الإنسانية قبل أن يحصد المرض الحقيقي ملايين الأجساد؟!

تجربة العمى الطارئ

وربما يرتد إلى الأنا أيضاً ما عبر به عن شعور العمى الطارئ الذي أصيب به لما أجريت له عملية جراحية في عينه؛

فهو بالإضافة إلى أنه لم يهتز لها وبدا رابط الجأش غير مكترث للظلام الدامس الذي لفه، بدليل أنه يتباحث -كما ذكر- مع بعض جلسائه ضاحكاً عابثاً حول الاختلاف في التعبير اللغوي عن إطفاء الأنوار بين أهل الشام وأهل مصر؛ إمعاناً في إظهار القوة النفسية التي يتحلى بها العقاد أمام هذه الأزمة التي عادة ينهار أمامها نظراؤه من العقلاء والمفكرين، ويمضي في هذا الاستعراض حتى يلوي عنق البلاء لصالحه؛ حيث إن عماه الطارئ تزامن مع إطفاء الأنوار في بلده لأجل الغارات الحربية يقول: «لأنني أطفأت الأنوار قبل أن تتصايح الأصوات حول الدار: أطفئوا الأنوار.. أطفئوا الأنوار».

وقد قارنت بين موقفه من العمى الطارئ وموقف الكاتب أحمد أمين، حينما أجرى عملية لعينيه اضطر لأن يضع الضماد عليها لأشهر، ظل فيها في ظلام مطبق هيمنت عليه حينها عاطفة صادقة، ساقته لأن يحاكي شعور من تألموا لفقد أبصارهم؛ فبكوا أنفسهم وأبكوا الناس، كبشار بن برد، وأبي العلاء المعري؛ بل كان عماه الطارئ هذا بمثابة الفرصة المثلى لمراجعة النفس ومحاسبة الضمير والعودة إلى الذات لقاء ما فرط، وقد استحضر أثناء هذه الأزمة النفسية التي مر بها اعترافات «تولستوي» ومراجعات الغزالي في «المنقذ من الضلال»؛ فقد كانت فرصة فريدة للتعرف على الذات على حقيقتها متجردة من الأوسمة والألقاب والهالات يقول: «إن الذي يوقعك في هذا التفكير المحزن هو انطواؤك على نفسك وتقويمك لها قيمة أكبر مما تستحق، وهل أنت إلا ذرة صغيرة على هذه الأرض ماضيها وحاضرها ومستقبلها»[2].

لكن للحق أقول: إن كلمات التشجيع والتنبؤ بالمستقبل الواعد التي تلقاها العقاد هي التي قادت دفته للنجاح

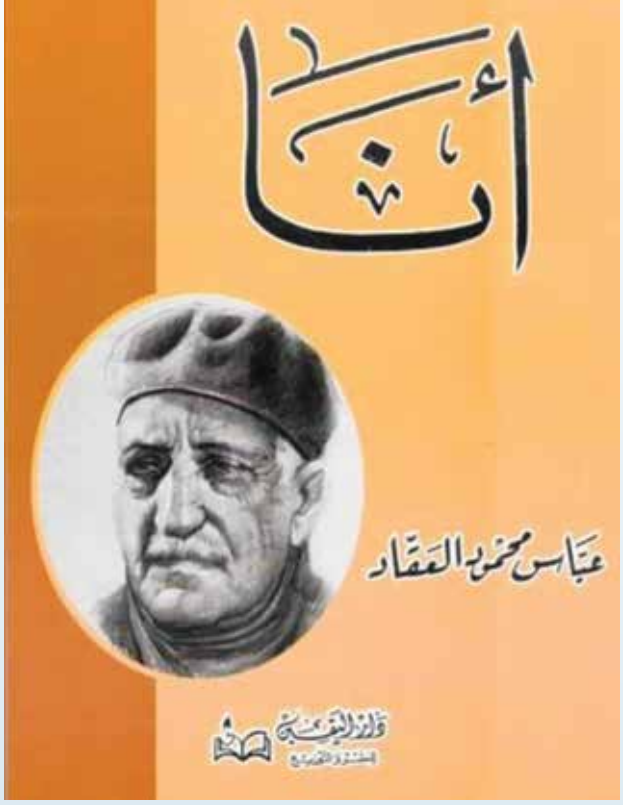

الأنا عند العقاد جعلته يتجاوز في أثناء حديثه عن تكوينه الثقافي كُتَّاب عصره ويتجاهل نظراءه منهم

ترجمته الذاتية لا تحفل بالعلاقات الاجتماعية حيث يظهر فيها مترفعاً عن الناس يأنس بالبعد عنهم والخلوة بنفسه

الثقافي والكتابة المتميزة، فهو لا يفتأ يذكر كلمة للإمام محمد عبده في حقه لما تصفح كراسته في صغره أثناء زيارة الإمام لمدرسته: «ما أجدر هذا أن يكون كاتباً بعد».

يقول العقاد على إثر هذه الكلمة: «لا أبالغ إذا قلت: إن كلمة الأستاذ الإمام هي دون غيرها التي حفزتني إلى الكتابة».

ولا شك عندي أن أعداداً غفيرة من مثل العقاد سواء كانوا في زمنه أم في أزمنتنا هذه يجلسون على قارعة الحياة، تحمل بين جوانحها دفعات هائلة من الإبداع تستحيل بسبب الكبت والتهميش والتنمر والحسد إلى طاقات معطلة ذابلة تؤثر السكون والعزلة، كانت تكفيها كلمة تشجيع كهذه التي ألهمت العقاد فساقته سدة الريادة الثقافية.

إنصاف «أنا» العقاد

صحيح أن الأنا عند العقاد جعلته يتجاوز في أثناء حديثه عن تكوينه الثقافي كُتَّاب عصره، ويتجاهل نظراءه منهم؛ بل ويضرب صفحاً عن ذكر شركائه في المشاريع الثقافية، إلا أنه من المفيد جداً أنه ذكر لنا العديد من الكتب التي كوَّنت قاعدته المعرفية، والأهم من ذلك هو ما ذكره في سيرته الذاتية حول فلسفته في القراءة التي ترتكز على ثلاثة محاور:

1 - فهو لا يهوى القراءة ليكتب أو ليزداد عدد سني عمره، إنما يقرأ لأن حياة واحدة لا تكفيه -على حد تعبيره- لكن القراءة دون غيرها تعطيه أكثر من حياة واحدة ليس بعدد سنواتها طبعاً، وإنما بما تحويه الكتب من أفكار وتجارب أمضى فيها مؤلفوها أزهى سني أعمارهم.

2 - شعوره العميق بما يقرأ؛ فهو يعيش في صفحات الكتب التي يقرؤها كأنه يحيا بين أحياء؛ حتى لكأنه يرى تلك الشخصيات الأدبية أو السياسية أو العلمية؛ فتتمثل له ملامحهم وعاداتهم، تجد ذلك مثلاً في قراءته للشاعر ابن الرومي.

3 - في صباه حينما كانت الكتب شحيحة في بيئته كان يضطر إلى إعادة ما يقرأ؛ فتعلم من هذه الضرورة دستوراً من دساتير القراءة خلاصته: إن كتاباً تقرؤه ثلاث مرات أنفع من ثلاثة كتب تقرأ كلاً منها مرة واحدة.■

الهامشان

(1) الخطر، أنا العقاد، ص 211.

(2) حياتي، أحمد أمين، ص 232.

مقال

مكانة الصدق وأهميته في حياة المسلم

د. جمال نصار

أستاذ فلسفة الأخلاق بجامعة إسطنبول صباح الدين زعيم

الصدق هو الإخبار عن الشيء على ما هو عليه، والكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، ويقال: «صدق فلان في الحديث صدقاً: أخبر بالواقع»[1].

والصدق يدعو إليه العقل والشرع، بخلاف الكذب، ومن هنا جاز أن تستفيض الأخبار الصادقة، حتى تصل إلى درجة التواتر، ولا يجوز ذلك في الأخبار الكاذبة[2].

والصدق من الأخلاق الأساسية التي يتفرع عنها غيرها، يقول بعض العلماء: «واعلم -رحمك الله- أن الصدق والإخلاص: أصل كل حال، فمن الصدق يتشعب الصبر، والقناعة، والزهد، والرضا، والأنس، وعن الإخلاص يتشعب اليقين، والخوف، والمحبة، والإجلال، والحياء، والتعظيم.. فالصدق في ثلاثة أشياء لا تتم إلا به: صدق القلب بالإيمان تحقيقاً، وصدق النية في الأعمال، وصدق اللفظ في الكلام»[3].

وإنما كان الصدق فضيلة، لأنه أهم الأسس التي تبنى عليها المجتمعات، ولولاه ما بقي المجتمع؛ ذلك لأنه لا بد للمجتمع من أن يتفاهم أفراده بعضهم مع بعض، ومن غير التفاهم لا يمكن أن يتعاونوا، وقد وضعت اللغات لهذا التفاهم الذي لا يمكن أن يعيشوا بدونه، ومعنى الإفهام أن يوصل الإنسان ما في نفسه من الحقائق إلى الآخرين، وهذا هو الصدق»[4].

وقد حث الإسلام على الصدق وبيَّن فضائله، وأكد أنه من صفات النبوة، يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً﴾ (مريم: 41)، ويقول: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً﴾ (مريم: 54)، وأمر عباده المؤمنين بالصدق، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: 119).

من أهم مراتب الصدق:

أولاً: صدق اللسان: وذلك لا يكون إلا في الأخبار أو فيما يتضمن الأخبار ماضياً أو مستقبلاً، ويندرج تحته الوفاء بالوعد والخلف فيه، وحُق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه، فلا يتكلم إلا بالصدق، وهذا هو أشهر أنواع الصدق.

ثانياً: الصدق في النية والإرادة: ويرجع ذلك إلى الإخلاص، وهو ألّا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى، فإن مازجه حظوظ النفس، بطل صدق النية، ويجوز أن يسمى صاحبه كذاباً.

ثالثاً: صدق العزم: فإن الإنسان قد يُقدِّم العزم على العمل، فيقول في نفسه: إن أعطاني الله تعالى ولاية عدلت فيها، فهذه عزيمة تحتاج إلى صدق؛ لأنه بمنزلة التمام والقوة لها كيلا يضعف أو يتغير وقت التنفيذ.

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن سَأَلَ اللَّه الشَّهادَةَ بصِدْق، بَلَّغَهُ اللَّه مَنازِلَ الشُّهَداءِ، وإنْ ماتَ علَى فِراشِه»[5].

رابعاً: الوفاء بالعزم: ذلك أن النفس قد تسخو بالعزم في الحال، إذ لا مشقة في الوعد والعزم، لكن إذا حقت الحقائق وحصل التمكن، وهاجت الشهوات، انحلت العزيمة، ولم يتفق الوفاء، ولهذا مدح الله تعالى هؤلاء المؤمنين الذين وفوا بعزائمهم، فقال سبحانه: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب: 23).

خامساً: الصدق في الأعمال: وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به، وعلى المسلم هنا أن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر.

سادساً: الصدق في مقامات الدين: وهو أعلى الدرجات وأعزها، ومن أمثلته: الصدق في الخوف، والرجاء، والتعظيم، والزهد، والرضا، والتوكل، وحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم[6].

من أهم فضائل الصدق:

أولاً: أن الصدق في القول يؤدي إلى الصدق في العمل والصلاح في الأحوال، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (الأحزاب)، فالصدق في القول يؤدي إلى الصدق في الفعل، وهذا هو العمل الصالح.

ثانياً: الصدق يهدي الإنسان إلى البر والخير، وقد بينه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(البقرة: 177).

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتّى يُكْتَبَ صِدِّيقاً، وإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتّى يُكْتَبَ كَذّاباً»[7].

ثالثاً: الصدق فيه النجاة، يقول تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة: 119)؛ أي أن صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة، وفي الحديث: «تحرَّوا الصِّدقَ، وإن رأيتم أنَّ الهلَكةَ فيه فإنَّ فيه النَّجاةَ»[8]، وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّ رجلًا جاءَ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ، ما عَمَلُ الجنَّةِ؟ قالَ: «الصِّدقُ، وإذا صَدَقَ العبدُ بَرَّ، وإذا بَرَّ آمَنَ، وإذا آمَنَ دخلَ الجنَّةَ»، قالَ: يا رسولَ اللَّهِ، ما عَمَلُ النّارِ؟ قالَ: «الكذبُ إذا كذَبَ العبدُ فجَرَ، وإذا فجرَ كفَرَ، وإذا كفَرَ دخلَ النّارَ»[9].

رابعاً: الصدق فيه الربح والفوز، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «أربع من كن فيه ربح: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر»[10]، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «أربعٌ إذا كُنَّ فيك فلا عليك ما فاتك منَ الدُّنيا: حِفْظُ أمانة وصِدْقُ حديثٍ وحُسنُ خَليقةٍ وعِفَّةٌ طُعْمةً»[11].

إن الإسلام لا يُعلِّم المسلمين فضيلة الكلمة الصادقة وحسب، ولكنه يعلمهم، أيضاً، كيف يجب أن يكون تلقيهم لها، وكيف يجب أن تكون كفالتهم لها ولأهلها، وكيف يجب أن يكون مسلكهم إزاء الكذب والتضليل.

ولا يدين الإسلام الكذب وحسب، ولكنه يميز بين ضروب من الرذائل، ودرجات من الإثم، كلها تتصل بانتهاك المعرفة الصحيحة[12].■

الهوامش

(1) المعجم الوسيط، 1/ 53.
(2) أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص260 – 261.
(3) رسالة المسترشدين، الحارث المحاسبي، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1403هـ – 1983، ص171.
(4) الأخلاق، أحمد أمين، ص199 – 200.
(5) صحيح مسلم، حديث رقم (1909).
(6) إحياء علوم الدين، الغزالي، 4/ 387 – 393 بتصرف.
(7) صحيح مسلم، حديث رقم (2607).
(8) الترغيب والترهيب، 4/ 51.
(9) مسند أحمد، حديث رقم (6641).
(10) أدب الدنيا والدين، ص261.
(11) مسند أحمد، حديث رقم (6652).
(12) الفضائل الخلقية في الإسلام، أحمد عبدالرحمن، ص137 – 138.

تنمية أسرية

نصائح لنجاح الأبناء وزرع الثقة بأنفسهم

نجلاء محفوظ
«كاتبة ونائبة رئيس تحرير «الأهرام

كل الأهل يحلمون برؤية أولادهم وبناتهم يفوزون بالثقة بالنفس وبالنجاح بتفاصيل الحياة، وإليكم أهم النصائح لتحقيق هذا:

1 - **لا تدافع عن طفلك أمام الناس**؛ ولا تقل مثلاً: طفلي خجول ولا تبرر خجله بأنه هادئ؛ ففي الأولى ستزرع داخله الخجل، وبالثانية ستجعله يتمادى به ويجعله ميزة وليس عيبًا،

واعمل تدريجياً على تخليصه من الخجل ومن كل عيب يضره.

2 - **عود ابنك مبكراً تناول طعامه وحده**؛ فسيتعلم الفرح بالإنجاز ولن يصبح اعتمادياً.

3 - **لا ترد بالنيابة عنه عن الأسئلة التي تخصه**؛ مثل اسمه وعمره ودراسته، بل اتركه يرد ودربه على الأجوبة.

4 - **لا تؤد الواجب المدرسي نيابة عنه حتى لو كان مريضاً**؛ وعوده على تحمل مسؤولياته مبكراً.

5 - **لا تتركه كثيراً أمام التلفاز أو الإنترنت**؛ وخصص لذلك وقتاً لا يتعداه أبداً.

6 - **علّمه الألعاب الجماعية ليتقن بعض المهارات** كالجمع والطرح وليتعلم التواصل الاجتماعي.

7 - **لا تتعمد الهزيمة أمامه بالألعاب**؛ فيجب أن يتعلم مبكراً أن الحياة بها مكسب وخسارة والأخيرة ليست نهاية العالم.

8 - **علمه المجاملات الاجتماعية** والابتسام عند التعامل مع الناس.

9 - **عوّده شكر الناس** عندما يمتدحونه؛ حتى لا يعتاده وكأنه حق له فيتوقعه ويغتر ولا يفرح به.

10 - **لا تخضع لإلحاحه**؛ فالحياة لن ترضخ له مهما ألح؛ وسيتعرض لصدمات، وعلمه أن الإلحاح لن يفيده.

11 - **عوده على النوم وحده مبكراً** وبلا توسل أو مبالغة بالأوامر؛ يكفي القول بحسم: حان ميعاد نومك هيا اصطحب لعبتك المفضلة، وتعال قبلني واحتضني، واذهب للنوم، وبالغد ستواصل اللعب.

12 - **اشغله عن الفضائيات والإنترنت** بكتاب مشوق أو رسومات يحبها حتى لا تضطر لإلهائه بالمحمول وأنت منشغل عنه.

13 - **مهما كنت غنياً فعوده على ترتيب حجرته** ويمكن ترك التنظيف للخادمة؛ فالترتيب عادة تزرع بالصغر وستساعده عندما يكبر، عكس الفوضى التي ستمتد غالبا لتفاصيل حياته.

14 - **احرص على أن يهتم بجمال مظهره** للجنسين -وليس للبنات فقط-

يجب أن يتعلم مبكراً أن الحياة بها مكسب وخسارة وأن الخسارة ليست نهاية العالم

الحياة لن ترضخ له مهما ألح وسيتعرض لصدمات وعلمه أن الإلحاح لن يفيده

وألا يكتفي بالنظافة؛ فالمظهر الجميل يرضيه نفسياً ويعطي انطباعاً جيداً عنه.

15 - **شجعه على ممارسة هواية**؛ فطفل بلا هواية سيكون غير سعيد وكذلك عندما يكبر.

16 - **عوده على رؤية نجاح وجمال الآخرين** وامتداحهم بلطف ليرى أنه ليس الوحيد الجميل أو المتميز بالكون.

17 - **عوده مساعدة الآخرين** -بلا مبالغة- وبلا تطفل ودون أن يفعل ذلك للحصول على حبهم؛ فهذا أسوأ ما ينشأ عليه الطفل فسيبقى دوماً -لا قدر الله- باحتياج للحب وقد يقبل بأمور تقلل منه وتخصم منه للحصول على محبة الناس.

18 - **تنبه عندما يفعل أشياء ليلفت نظرك**، ولا تستجب حتى لا يتحول ذلك لعادة عنده، وهو سلوك يدمر الشخصية، ويصبح عبداً لما يلفت الانتباه، وسيفعل حتماً ما يضره ليفوز بها.

19 - **عندما يخطئ فلا تبرر خطأه** بأنه صغير؛ حتى لا تعطيه شماعة يستخدمها حينما يريد؛ بل واجهه بخطئه.

20 - **لا تعايره بالخطأ** وإذا كرره فلا تتجاهله.

21 - **علمه الاعتذار** بلا توسل وبلا مكابرة بأن يقول: أعتذر إذا كنت مخطئاً، وأخبره أن الكبار والأذكياء وحدهم يعتذرون ولا يكررون الأخطاء.

22 - **عوده التخطيط مبكراً** فاسأله: ماذا تنوي اللعب اليوم؟ أو كيف ستقضي يومك؟ حتى لا يترك نفسه دون شعور بالوقت.

23 - **علمه ألا يستمر بالحزن** عندما يتألم والبحث عن حلول لمشكلاته.

24 - **نبهه لاحترام الأماكن**، وعلمه منذ صغره التزام الصمت، وعدم التحرك بالمكان والاتفاق معه على ذلك قبل الذهاب، ولمساعدته فليأخذ معه لعبته المفضلة أو شيئاً يتسلى به؛ فليس من الواقعي أن نأمر طفلاً بالصمت وعدم الحركة لوقت طويل دون إعطائه ما يشغله ويحبه.

25 - **لا تخضع له عندما يحرجك أمام الناس بطلب يعلم أنك لا توافق عليه حتى لا تعلمه الابتزاز**

لا تخضع له عندما يحرجك أمام الناس بطلب يعلم أنك لا توافق عليه حتى لا تعلمه الابتزاز

التأخر في احتواء أي تمرد سيضاعفه وقد تضطر للعنف لاحقاً أو ستفلت الأمور منك تماماً

أمام الناس بطلب يعلم أنك لا توافق عليه؛ حتى لا تعلمه الابتزاز.

26 - **إذا تعامل بخبث فلا تصفه بالذكي**؛ فالفوارق بينهما كبيرة، ولا تستجب له.

27 - **لا تقل: هو صغير وعندما يكبر سيفهم الصواب**؛ فسيشب على الخطأ؛ كالزرع كلما رسخت جذوره صعب اقتلاعها وأخذت وقتاً وجهداً، ويصعب انتزاعها كلها وتنبت ثانية.

28 - **لا تتسامح كثيراً** في المراهقة بحجة أنه مراهق وأنها فترة تمرد؛ فالتأخر في احتواء أي تمرد يضاعفه وستضطر للعنف لاحقاً أو ستفلت الأمور تماماً.

29 - **لا تتجاهل بدايات سوء الأدب** في الرد عليك أو على أمه أو إخوته، وتنبه لنبرة صوته، وامنع الإشاحة بالأيدي أو إنهاء الكلام معك عندما لا يعجبه ومغادرة المكان غاضباً؛ فأنت وحدك من ينهي المحادثة؛ فلا بد أن يتعلم احترام السلطة، وعدم تجاوز القوانين بالبيت.

30 - **لا تتخذ قرارات بالنيابة عنه**؛ حتى لا تعلمه الاتكال وتقلل ثقته بنفسه.

31 - **في كل عمر يمكنك تكليفه بعمل ما**؛ ولو كان حمل كتاب وإعطاءه لك، أو ضع ألعابه بصندوق وأخبره بأنه شاطر وشجعه بتصفيق واحتضان ولا تبالغ.

32 - **عوده على مهارات الاستماع** منذ صغره؛ فستفيده كثيراً، ودربه ألا ينظر في الهاتف وأحد يكلمه، وألا يقاطع أحداً.

33 - **امنعه من نقل أخبار الأسرة** للآخرين بالواقع أو الإنترنت والاحتفاظ بخصوصياته ومنع تطفل الآخرين.

34 - **احرص أن يكلم الكبار بأدب** ويحترمهم وأن يكون لطيفاً مع الجميع.

35 - **لا تسمح له بقول الكلمات السيئة** حتى لو كان أقرانه بالمدرسة والنادي يقولونها للتحرر من القيود، وأخبره أنه لا يحتاج لأن يكون نسخة مكررة من غيره.

36 - **لا تلبِّ رغبته** بعمل التقاليع بالمظهر واللبس الغريب وصبغ خصلات من الشعر؛ فكل ذلك سيدفعه للرغبة طوال عمره في لفت الأنظار وما يتبعه من تدمير فعلي لشخصيته وضياع لتميزه.

37 - **احرص ألا يكون طفلك خجولاً ولا شديد الجرأة**؛ فكلاهما يضره نفسياً واجتماعياً ويخصم كثيراً من فرص نجاحه.

38 - **تجنب التوقعات السلبية** منه، مثل: أنا واثق أنك لن تفعل ذلك جيداً، حتى لو كان شيئاً بسيطاً كترتيب حجرته حتى لا تزرع قلة الثقة بالنفس به وقد يدفعه إلى اللامبالاة ويؤثر ذلك عليه مستقبلاً.

39 - **تنبه للتوقعات الزائدة منه**، مثل: أثق أنك ستكون الأفضل دائماً؛ فهذا عبء نفسي هائل عليه؛ فلن يكون الأحسن دوماً فلا أحد يمكنه ذلك، وسيحس بالتقصير وبتراجع تقديره لنفسه وقد يحبط أو يدور في دوائر منهكة طوال الوقت من الشعور بالذنب ويُتعب نفسه صحياً ونفسياً ويتراجع نجاحه.

40 - **اهتم بتعليمه الهدف** من أي شيء يفعله؛ كالمذاكرة ومساعدة الغير وتنظيف حجرته.■

قلب أب مكلوم

د. يحيى عثمان

استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء الكويتي سابقاً
y3thman1@hotmail.com

أستاذي الفاضل، يكتب لكم قلب مكلوم على ابنته، ولعلي أعبر عن العديد من الآباء الذين تعبوا على بناتهم وبذلوا الجهد حتى يؤدوا الأمانة التي كلفهم الله تعالى بها، منذ طفولة بناتهم حتى وصلن إلى عش الزوجية وبدأت المأساة! لقد رزقني الله بثلاثة أبناء وابنة واحدة كانت الزهرة الجميلة في حياتنا، وحرصت أنا وزوجتي كل الحرص على تربيتهم تربية متميزة، وكانت لهم الأولوية في حياتنا، فرغم أنني أملك شركة مقاولات ومجال النمو والربح متاح، فإن ذلك كان يتطلب وقتاً على حساب أسرتي؛ لذا فكثيراً ما كنت أعتذر عن قبول عمليات قد تعطل دوري كأب أسرة.

بعد أن تخرجت ابنتي تقدم لها عدة شباب، وكان أحدهم مناسباً وتمت الموافقة، وخلال فترة الخطبة لاحظ الخاطب قيمة اهتمامي بأسرتي، وأن اهتمامي بشركتي كوسيلة للرزق، وفي إحدى زيارته لنا، فاجأني متسائلاً: «عمي، أنا كمهندس أعلم سمعة شركتك، وإنك لو أعطيت العمل مزيداً من وقتك لحققت نجاحات عظيمة»، ووجدتها فرصة لإعطائه نموذجاً عملياً لمعنى النجاح -خاصة وقد لاحظت بخبرة الحياة تفكيره المادي- وأن الاستثمار في الأولاد هو الاستثمار الحقيقي، وما دام العائد الذي يرزقنا الله به يكفل لنا مستوى معيشة طيباً ويتبقى ما نتصدق به لآخرتنا، كما أننا ولله الحمد ندخر، فلماذا أحرم أسرتي مني؟ بعض أصدقائي يعمل طوال اليوم ولا يجد وقتاً لتربية أولاده، حتى زوجته نتيجة تحملها المسؤولية بمفردها عادة من تنتهي طاقتها قبل وصوله قرب منتصف الليل، كما أنه قد ينشغل في عطلة الأسبوع بالسفر أو مراجعة بعض العمليات، نعم هو يملك شركة تدر ملايين ويوفر لأسرته مستوى عالياً من الرفاهية، ولكن يا بني الزوجة تحتاج لزوج وليس لمن ينفق عليها، ورغم علمي أنك قد لا تتمكن من توفير المستوى المادي لابنتي كما كانت تعيش في بيتنا، ولكنها سُنة الحياة.

تزوجت قرة عيني، ورزقها الله بثلاثة أولاد، وما كنت أخشاه وقع، فرغم أن زوجها كريم دمث الخلق ودود معها، فإن تفكيره مادي، وفقه الأولويات لديه خطأ، في خلال السنوات الخمس الأولى انكب على استكمال دراسته العليا حتى حصل على الدكتوراة، وتحملت قرة عيني كل الأعباء من تربية الأولاد ورعاية البيت، وكنت من جانبي بأرق أسلوب أبين له أهمية الموازنة، وأهمية قيامه بواجباته تجاه أسرته، إلا أن ابنتي كانت تدافع عن سلوكه وتبرر ذلك بأهمية بناء مستقبل الأسرة!

استغلت ابنتي انشغال زوجها عنها بتنمية معارفها الدينية والحياتية، حتى أصبحت مرجعاً لصديقاتها للمشكلات الزوجية والتربوية.

وفقه الله تعالى للعمل بالتدريس بإحدى الجامعات توفر له دخلاً طيباً، ولكنه بدلاً من أن يعوض أسرته عن فقدانهم له خلال فترة دراسته، أسس مكتباً استشارياً وأصبح وقته موزعاً بين الجامعة والمكتب، ولم يبقَ لأسرته غير سويعات يعود منهمكاً للنوم، وابتعد عن أسرته أكثر، وفاجأني بأنه عمل شراكة مع إحدى الشركات العالمية، وأنه سيتولى إدارة فرع الشركة بأوروبا، وسيسافر بمفرده ويترك أسرته خوفاً على الأولاد من البيئة الغربية، اعترضت ابنتي وبيّنت له خطورة ذلك على الأولاد، ولكنه أصر ووعدها أنه سيكون معهم يومياً صوتاً وصورة، وكل شهر سيقضي معهم أسبوعاً، كما أنه وعدها أن فترة تأسيس المكتب تتطلب وجوده على الأقل ستة أشهر وبحد أقصى سنة، ولكنه لم يوفِ بوعوده، ويبقى في غربته بالشهور بعيداً عنهم، متعللاً بالعمل ويرسل بدلاً منه شيكاً! ومرت الأعوام وسط تبريرات ووعود وظروف طارئة وتعليلات.

أنا من جانبي لم أدخر وسعاً في الحديث معه أو أرسل إليه آراء العلماء في إثم من يهجر زوجته وأولاده لمجرد فقط زيادة مدخراته، والآثار المدمرة لذلك سواء على الأولاد أو الزوجة وما قد يعرضها ذلك من فتنة، واختلال العلاقة بينه وبين أسرته، ناهيك عن الآثار السلبية على الزوج، ولعل أخطرها هو ضياعه للأمانة التي حملها الله إياها، بالإضافة إلى الآثار النفسية والبدنية للحرمان من الحياة الطبيعية مع الأسرة، حتى إنني أرسلت له عدة أبحاث تبين أن عدم الانتظام في العلاقة الخاصة يؤثر سلباً على كفاءة الرجل، ولكن لا حياة لمن تنادي.

ولعلك أخي الكريم تتساءل: ما مشكلتي؟ مشكلتي هي أنني أجد ابنتي تعيش عيشة المطلقة أو الأرملة وهي شكلاً متزوجة، وأحفادي يتامى وشكلاً لهم أب، وكم يتفطر قلبي عندما يحضر أولادي كل بجانب زوجته، وتحضر ابنتي دون زوجها، أو أجد أولادي يمارسون الرياضة مع أولادهم وأولاد ابنتي محرومين من والدهم.

عندما أناقش مع ابنتي وضع زوجها، تقول: إنها بذلت قصارى جهدها معه، ولكنه يرى أهمية ليس فقط توفير مستوى مادي طيب لهم، ولكن عمل مدخرات لمواجهة أي صدمات قد نتعرض لها، وإنه لا يمكن له أن يتحمل احتياج أولاده لشيء قد يعجز عن توفيره لهم! ويمثل عليها دور الضحية، وكم يعاني من حرمانه منهم، وقد

ما كنت أخشاه وقع.. فرغم أن زوجها كريم دمث الخلق ودود معها فإن تفكيره ماديّ

لم أدخر وسعاً في الحديث معه أو أرسل إليه آراء العلماء في إثم من يهجر زوجته وأولاده

تدمع عيناه من فرط الشوق لهم، ولكنه يحتسب كل ذلك من أجلهم، فتشفق عليه وتتألم لمعاناته، لقد كبر الأولاد وهم على أبواب الجامعة، وبفضل الله جهودها معهم لم تضع، ولكن من المؤكد أن هناك آثاراً سلبية لغياب والدهم، خاصة في مرحلة البلوغ وتحدياتها، كما أن جهودها ضعفت ولم تعد قادرة على بذل المزيد معهم.

عندما أناقش مع ابنتي مشكلة زوجها تبرر وتدافع عنه، ورغم اعترافها بخطئه في تقدير أولوياته، فإنها تحسن الظن به، وأنها تبذل ما تستطيع لإتمام رسالتها كزوجة وأم وهو مسؤول عن نفسه، ورغم عدم رضاها عن نموذج الحياة الذي فرضه عليها زوجها، فإنها توافقت معه وأوضحت لزوجها خطأه، ولكنه مصرّ على المضي في رؤيته.

في محاولة منا لمعالجة بعض الآثار السلبية، كنا نتحمل رعاية الأولاد حتى تسافر لزوجها، أو نقيم معها عند ولادتها لعدم وجود زوجها، حتى أصبح من الأسهل على زوجها طلبها لزيارته على أساس أننا سنتولى مسؤولية الأولاد، والأهم هو العبء النفسي لما تتحمله من مسؤولية الأسرة لمفردها والخوف عليها وعلى الأولاد.

سؤالي: من المؤكد أنه لا خلاف على خطأ زوج ابنتي في حق زوجته وأولاده، وأن هناك فعلاً آثاراً سلبية نتيجة ذلك، ومن منطلق خوفي أن يحدث، لا قدر الله، أي انحراف من الأولاد؛ هل لي أن أوضح لابنتي أن عليها ألا تكتفي بمجرد فقط النصح لزوجها وإنها وإن تنازلت عن حقوقها الزوجية، فليس من حقها التنازل عن حقوق أولادها التربوية من حب ورعاية معنوية ومداعبة وتوجيه.. أو هذا يعتبر من تحريش الزوجة على زوجها؟ هل لي بصفتي ولي ابنتي أن أقف مع هذا الزوج وقفة مصير وأخيرة بين أن يكون زوجاً وأباً وإلا فالطلاق؟ وخاصة أنه لا يسمع نصحاً ولا يرى الآثار السلبية لانشغاله بنجاحه المهني وتكوين ثروته، وقد حرم نفسه من الاستمتاع بزوجه وحياة أسرية ينعم فيها بصحبة أولاده عبر نموهم من الطفولة للصبا إلى البلوغ؟

التحليل

أود في البداية أن أنقل الرأي الفقهي وهو منقول عن د. كمال درويش، عضو لجنة الإفتاء بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت سابقاً:

1 - تنتقل الولاية على المرأة بعد زواجها إلى زوجها، ومفهوم الولاية هو الرعاية الكاملة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة.

2 - لا يحق لوالد المرأة أو ابنها أو أخيها أن يتدخل إلا إذا أمرها زوجها بمعصية أو منعها من فرض، أو منعها حقاً لها تطلب به.

3 - إذا كان الأمر يتعلق بمباح وفيه وجهات نظر أو حق للزوجة وهي متنازلة عنه ولم تشتكِ، فلا يحق لوالد الزوجة التدخل إلا من منطلق النصح، فيمكن له أن يقول رأيه للاسترشاد فقط.

مع كل تقديري لمشاعر كل أب بذل في تربية ابنته، حتى سلمها أمانة إلى زوج توسم فيه الخير، ولكنه لم يرع الأمانة حق رعايتها، إلا أن الضوابط الشرعية هي التي يجب أن تتحكم في تصرفاتنا وليس الانفعالات والعواطف، إن الحقوق الزوجية فرض أن يقوم بها الزوجان، ولكن لأي من الزوجين التنازل عن حقه ولا يحق لأحد أن يطلب من الزوج الوفاء بحق زوجه ما دام لم يطلبه زوجه بحقه، كما أن ابنتك أعلم بزوجها، وإنها إذا خيرت زوجها بين ضرورة أن يكون زوجاً وأباً حقيقياً وليس صورياً أو الطلاق؟ تأخذه العزة بالإثم ويتم الطلاق، ولعلها وازنت واختارت أقل الضررين، آملة أن يفيق زوجها ويتعظ بما يسمعه من نصحها له أو من المآسي التي تحدث عن غياب رب الأسرة.

عندما أناقش مع ابنتي مشكلة زوجها تدافع عنه وتبذل ما تستطيع لإتمام رسالتها كزوجة

الضوابط الشرعية هي التي يجب أن تتحكم في تصرفاتنا وليس العواطف

ومن رأيي أن الجأ إلى الله تعالى واجتهد بالدعاء، وكُف عن نصح الزوج؛ لأن هناك إنساناً لا يرى ولا يسمع إلا ما قرره هو، وقد يرى في الرجوع إلى الحق منقصة وتأخذه العزة بالإثم حتى لو أدرك أنه مخطئ، فيدافع ويبرر خطئه، أما ابنتك فحيث إنها، كما تقول، مرجع لصديقاتها، وأن لديها من الحكمة ما تسوس به حياتها، وهي أعلم بزوجها وبما يصلح حياتها الزوجية، لذا فلا داعي لإثارة آلامها، أو دفعها إلى اتخاذ قرار تحت تأثيرك تندم عليه، عليك فقط بالدعاء لها، كما أرى عدم تقديم أي مساعدة، لأن ذلك يسهل على زوجها بُعده عن أسرته لأنكم تتحملون المسؤولية عنه، دعه يتحمل أعباء أسرته.

ولهذا الزوج وأمثاله، أذكّر بقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (النساء: 58)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول»، فاتق الله وكن رجلاً وتحمل المسؤوليات التي حملك الله بها وهو سبحانه سائلك عنها.■

إعداد الأديب: مصطفى المكبر

الكَنزُ

اقترب الرجل الفقير من حماره، مسح على رأسه برفق، ثم قال لزوجته:

- هيا لمساعدتي في إعادة بناء مزود الحمار..

فردت الزوجة:

- لا أعلم سر حبك لهذا الحمار!

فقال الرجل:

- ولماذا لا أحبه؟ وأنا أعمل حمَّاراً، وكل رزقنا يأتي من تعبه ونقلي لأشياء الناس عليه مقابل قروش زهيدة..

وأخذ الرجل في هدم الجدار، وجلست المرأة بجواره..

وفجأة.. توقف الرجل وأخذ ينظر إلى شيء ولا يستطيع الكلام، فسألته المرأة:

- ما بك؟!

وظل الرجل صامتاً، وظلت المرأة تردد:

- لماذا لا تتكلم؟

وبصعوبة شديدة قال:

- كـ.. كنـ.. كنز..

وجدت كنزاً يا عزيزتي..

فصاحت المرأة:

- ماذا؟ كنزاً! دعني أراه!

وكاد الرجل وزوجته أن يفقدا عقليهما، فجعلا يهللان ويصيحان، وأخيراً طلب الرجل من زوجته الهدوء حتى لا ينكشف الأمر.

وأخرجا الكنز، وفي الحال طلبت المرأة من زوجها أن يشتري لها ثياباً حريرية، وأساور ذهبية، وطعاماً مما لذَّ وطاب، فقال الرجل سعيداً:

- اصبري يا عزيزتي؛ حتى لا ينكشف أمر كنزنا، ويستولي الحاكم عليه..

وظلت الزوجة تطلب من زوجها الذهب والحرير، وظل الزوج يطلب منها الصبر..

كان الزوج عازماً على أن يحضر لها ما تريد، ولكن بعد أن يتدبر الأمر.

وذات صباح، سمع الرجل طرقاً شديداً على بابه، ودق قلبه بشدة عندما رأى أمامه جنود الحاكم، وجذبوه بقسوة قائلين:

- هيا لمقابلة الحاكم..

وعند الحاكم علم الرجل أن زوجته أبلغت الحاكم بأمر الكنز، فأوشك أن يموت خوفاً، وأخذ يحدّث نفسه:

- لا بد أن الحاكم سيأمر بقتلي، هكذا تفعلين بي يا زوجتي، وما طلبت منك إلا قليلاً من الصبر ثم أحضر لك كل ما تريدين!

وقال الحاكم:

- قصّ عليَّ حكايتك منذ أن تزوجت زوجتك..

فقصَّ عليه منذ تزوجها حتى وجدا الكنز..

وعندما كان الرجل غارقاً في خوفه ويريد أن يلقي بنفسه تحت أقدام الحاكم، يطلب منه السماح، ويحضر له الكنز، انتبه على صوت الحاكم يقول في حكمة:

- اذهب إلى بيتك يا رجل، وتنعَّم بكنزك الذي وهبه الله لك، واعتنِ بحمارك..

ثم أضاف آمراً:

- وطلِّق زوجتك.■

القاضي أكثر حمقاً!

جلس القاضي جحا على منصة القضاء، وأرسل عامله يشتري له وعاء من العسل، وأتى العامل بالعسل، ووضعه القاضي جحا إلى جواره.

ودخل مجلس القضاء خصمان يختصمان في قضية، وسألهما القاضي جحا عن قضيتهما، فاقترب أحدهما من المنصة وقال في تأثر شديد:

- يا سيدي، أنا أحب الغنم، وكنت أدعو الله سبحانه وتعالى أن يرزقني بقطيع من الغنم، على أن يكون عدد هذا القطيع ألف شاة..

وأشار الرجل إلى خصمه وأكمل:

- وما كان من هذا الرجل اللئيم، الذي لا يحب الخير للآخرين، إلا أن رفع يده داعياً الله أن يرزقه بقطيع من الذئاب، على أن يكون عدده ألف ذئب حتى يأكل كل ذئب من ذئابه غنمة من غنمي!

ورفع الرجل صوته فجأة، واستمر يقول وهو يشير بيديه إلى هنا وهناك:

- وهذا الظلم لا يرضي أحداً أبداً يا سيدي، فقررت أن أعاقبه عقاباً شديداً على ظلمه، وعلى فعل ذئابه المفجع بغنمي، فتشاجرنا وجئت به إلى مجلس القضاء، لتقضي بيننا يا سيدي وتعيد الحق لأصحابه..

ورغم تعجب جحا من حمقهما، إلا أنه كان أكثر حمقاً منهما، فقد رفع وعاء العسل وضربه في الأرض بشدة وهو يصيح:

- أراق الله دمي كما أرقت هذا العسل، إن لم تكونا أحمقين!■

حصة الفقه للأطفال

شروط صحة الصلاة

في حصة التربية الدينية، قال المعلم بعد الانتهاء من موضوع الحصة الأصلي:

- انتهى حديثنا في الحصة السابقة عن الفقه الخاص بكم كأطفال عند سؤالي:

- ما شروط صحة الصلاة؟

سأل المعلم ثمَّ أشار إلى أحمد الذي قال:

- أولاً: التأكد من دخول وقت الصلاة..

ثانياً: ستر العورة..

فتدخل المعلم قائلاً وهو ينظر للجميع:

- والعورة هي ما يجب ستره من جسد الإنسان، وعورة الرجل من الرُكبة إلى السُرّة، وعورة المرأة جميع جسدها إلا الوجه والكفّين، يعني بأن يرتدي المسلم ما يليق بالوقوف بين يدي الله تعالى ساتراً لعورته، ونظر المعلم إلى عبدالله وسأل:

- وثالثاً يا عبدالله؟

فأجاب عبدالله:

- وثالثاً: استقبال القبلة..

فأشار المعلم بأصبعه قائلاً:

- ويمكن معرفة القبلة بسؤال الكبار عن اتجاهها، وهي في المساجد محددة ومعلومة.. ورابعاً؟

وعندما لم يُجب أحد قال المعلم:

- ورابعاً: طهارة البدن من النجاسة، وخامساً: طهارة الثوب من النجاسة أيضاً، وسادساً: طهارة المكان أيضاً من النجاسة..

وسأل البراء سؤالاً واعياً، فقال:

- إذا كانت طهارة البدن والثوب والمكان من شروط صحة الصلاة، فلماذا لا تحدثنا يا أستاذ عن أحكام الطهارة؟

فرد المعلم معجباً:

- نعم يا براء، بوركت، فهذا موضوع مهم..

ثم جعل يقول:

- الله عز وجل جميل يحب الجمال، والإسلام دين الطهارة، والنظافة؛ ولذلك أكد على التطهر قبل أداء العبادات، والطهارة أيها الأحباب تنقسم إلى:

أولاً: طهارة ظاهرية، وثانياً: طهارة باطنية..

فأمَّا الطهارة الظاهرية فطهارة البدن، والثياب، والمكان..

وأمَّا الطهارة الباطنية فتكون بالطهارة من الذنوب، والأخلاق المذمومة كالحسد وغيره، ويحصل الإنسان عليها بالإخلاص لله تعالى..

وتبدأ الطهارة الظاهرية بدخول الخلاء، فمن يحدثنا عن الخلاء، وآدابه، وأحكامه؟

واستأذن عثمان وأجاب:

- الخلاء وهو مكان قضاء الحاجة من غائط وبول، وتبدأ أحكامه وآدابه:

أولاً: بدعاء دخول الحمام كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم إنِّي أعوذ بك من الخبث والخبائث»..

ثانياً: الدخول بالقدم اليسرى أولاً واليمنى ثانياً..

أشار المعلم لعثمان ليسكت، ثم لطارق الذي يرفع يده ليكمل، فقال:

- ثالثاً: غلق الباب للاستتار عن العيون، ورابعاً: عدم استعمال اليد اليمنى في رفع الأذى..

وإلى هنا سكت عثمان، فهتف المعلم:

- من يكمل؟

فأكمل خالد قائلاً:

- وخامساً: عدم ذكر اسم الله داخل الحمام، وسادساً: الخروج بالقدم اليمنى أولاً ثم اليسرى، وسابعاً: ذكر دعاء الخروج من الحمام وهو قول: «غفرانك».

وسكت الجميع، فأضاف المعلم:

- وثامناً: إذا عطست بالحمام فاحمد الله في نفسك، وتاسعاً: غسل اليد بالماء والصابون لإزالة الروائح الكريهة، ثم يأتي الوضوء، ولكن سنتحدث قبله عن أنواع المياه..

وهنا دق جرس المدرسة، فقال المعلم عاجلاً:

- سنتحدث إن شاء الله الحصة القادمة عن «أنواع المياه»..

ثم قرأ السلام على أحبابه الصغار، واستدار خارجاً.■

بقلم - د. علي الصلابي:
كاتب إسلامي

اتفاق الرسل في الأصول واختلافهم في الفروع

فيما عدا أصول الإيمان والقيم الثابتة، جعل الله عز وجل لكل رسول شريعة خاصة به لقومه، شاملة وكاملة في وقتها لأهلها، وقد تختلف هذه الشرائع من نبيّ لآخر، وقد يتفق بعضها، حتى ختم الله سبحانه جميع الشرائع بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الشريعة الكاملة الشاملة التي كتب الله عز وجل لها الخلود والقيام بمصالح العباد في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا هو المعنى المأخوذ من قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ (المائدة: 48)، ومعناه: لكل أهل ملة منكم أيها الأمم جعلنا شرعةً ومنهاجاً. (الطبري، 1992، 385/10).

ويرى الشيخ عبدالرزاق عفيفي، رحمه الله تعالى، بخصوص اختلاف الشرائع واكتمالها في شرعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم: أنّ من تمام رحمة الله بعبادة ونعمته عليهم، وكمال حكمته في إقامة الحجة إلى من سبق عليه القول منهم، أن جعل شريعة كل رسول من رسله شاملة لكل ما تحتاجه أمته، وجامعة لكل ما يُصلح شأنها، وينهض بها في إقامة دولتها وبناء مجدها وتقويم أودها وحفظ كيانها، ويجعلها مثلاً أعلى في جميع شؤونها، سعيدة في الدنيا والآخرة، قال صلى الله عليه وسلم: «إنه لم يكن نبيّ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم عن شر ما يعلمه لهم» (النووي، 1972، رقم 1848)

وكذلك، فقد تضمنت فوق ذلك ما يُكمل الضروريات والحاجيات والتحسينيات على خير حال وأقوم طريق، والأمم الماضية لما كانت تسوسهم الأنبياء كلما مات نبيّ خلفه نبيّ، وكان الوحي مستمراً، جرت فيهم سُنة التطور في التشريع والتدريج في الأحكام، وكان كثير من التفاصيل وفروع الشريعة مؤقتاً، فنسخت الشريعة اللاحقة من أحكام الشريعة السابقة ما اقتضت المصلحة نسخه؛ تنشئة للأمة وتربية لها وسداً لحاجتها، أو عقوبة لها على ظلمها للأمة وتمرّدها على شرائع ربّها، قال تعالى في رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (آل عمران: 50).

وقال الله تعالى في محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿156﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف).

وقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيراً (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾(النساء).

وأما هذه الأمة المحمّدية فشريعتها خاتمة الشرائع ورسولها خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا نبيّ بعده، فاقتضت حكمة الله أن تكون شريعته فيهم عامة دائمة إلى يوم القيامة، كفيلة بجميع مصالحهم الدينية والدنيوية، منظمة لنواحي حياتهم المختلفة، مُغنية لهم عمّا سواها في جميع أمورهم وشؤونهم، ولو طال بهم الأمد واختلفت أحوالهم على مرّ الأيام والعصور حضارة وثقافة، وتباينت أفكارهم ذكاء وغباوة، وحالتهم قوة وضعفاً وغنى وفقراً. (عفيفي، 1999، ص32).■

المصادر

1 - علي محمد الصلابي، إبراهيم عليه السلام داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة، دار ابن كثير، 1442هـ/ 2021م، ص 98-99.
2 - الطبري، تفسير الطبري «جامع البيان في تأويل القرآن»، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/ 1992م.
3 - النووي، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ/ 1972م.
4 - عبدالرزاق عفيفي، الحكمة من إرسال الرّسل، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1420هـ/ 1999م.

اشترك أو جدد

المجتمع

داخل الكويت: 10 د.ك

الدول العربية: 17 د.ك

الدول الأجنبية: 25 د.ك

المؤسسات والشركات: 30 د.ك

شاملة عمولة التحويل

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: ..... الرمز البريدي: .....

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560523

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

نمـــاء الخيريـــة
NAMAA CHARITY
جمعية الإصلاح الاجتماعي

ترخيص وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل رقم (إ ع ت) / ٢٠٢٢/٧٧ بشأن الجمع النقدي

أفضل الصدقة سقيا الماء

20 د.ك تسقي **700** شخصاً

1 8888 33
www.namaakw.net

للتبرع

نهتـــم بالإنســـان